جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

آراء السيوطي البلاغية في كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها

" استخراجا وتصنيفا وتعقيبا "

الدكتور

البدري فؤاد عبدالغني عبدالرازق

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بجرجا
والأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم في وادي الدواسر
بجامعة سلمان بن عبدالعزيز بالمملكة العربية السعودية

العدد التاسع عشر
للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م

الترقيم الدولي : ISSN 2356 ■ 9050

تم دعم هذا المشروع بواسطة عمادة البحث العلمى بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز من خلال المقترح البحثى رقم ٢٠١٤/٠٢/١٧٣٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل شهادة العلماء في المرتبة الثالثة بعد شهادته وشهادة ملائكته ، حيث قال في محكم تنزيله:" شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ وَالْمَلاَئِكَـةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ([1])" ،والصلاة والسلام على من زكى الله علمه ، فقال:" وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ،إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى([2])".

أما بعد ،،،،

فغني عن البيان: أن علم البلاغة له نصيب الأسد في كشف أسرار القرآن الكريم والتنقيب عن وجوه إعجازه وإماطة اللثام عن لطائفه ،وهذا ما جعل العلماء يعكفون على دراسته، يصلون الليل بالنهار؛ ليخرجوا لنا تراثا علميا زاخرا.

وكان من بين هؤلاء العلماء الأفذاذ ، الإمام السيوطي الذي كثرت حوله الدراسات في معظم فروع اللغة ، فمنها من درسه مفسرا ، ومنها من درسه لغويا، ومنها من درسه فقهيا ، ومنها من درسه أديبا، أما كونه بلاغيا – بالرغم من كثرة الدراسات في هذا الجانب – ، فما زال يحتاج إلى كثير من الدراسات التي تظهر شخصيته البلاغية ؛ ليصنف ضمن علماء البلاغة البارزين .

من أجل هذا وذاك شمَّر الباحث عن ساعده – مستعينا بالله– ؛ ليكوِّن لبنةً في صرح الإمام السيوطي البلاغي، ويكشف النقاب عن بعض مؤلفاته التي تحتاج إلى جهود كثير من الباحثين ؛ ليخرجوا ما فيها من مسائل بلاغية ، تساهم في بناء الصرح البلاغي.

---

[1] – الآية ١٨ من سورة آل عمران.
[2] – الآيات ٣–٥ من سورة النجم.

وأخذ الباحث يقرأ في شخصيته ، ويتصفح بعض عناوين مؤلفاته التي اختلف العلماء في عددها، حيث ذكر السيوطي في كتابه " حسن المحاضرة "، أن مؤلفاته بلغت ثلاثمائة كتاب سوى ما غسله ورجع عنه([٣]).

وفي كتابه الآخر " التحدث بنعمة الله"، بلغت ثلاثمائة وخمسين كتابا ، وما لم يتمه ثلاثة وثمانين([٤]).

غير أن آخر إحصائية لكتبه بلغت ألفًا ومائة وأربعًا وثمانين مؤلفًا ، توصل إليها الباحث إياد خالد الطباع([٥])، الذي أوضح أن المطبوع منها (٣٣١) مؤلفًا ، والمخطوط (٤٣١)، والمفقود أو مجهول المكان (٤٣٢) مؤلفًا([٦]).

وكل هذا التراث الجم الكبير يحتاج من الدارسين أن يقفوا أمامه ؛ ويزيلوا الغبار الذي علق به ، ويخرجوا ما فيه من علم هذا الرجل العظيم ، فأراد الباحث أن يسهم في هذا السباق ، فوقع اختياره علي كتابه " المزهر في علوم اللغة وأنواعها "، وجاءت الدراسة تحت عنوان " آراء السيوطي البلاغية في كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها" استخراجا وتصنيفا وتعقيبا ".

وتأتي طرافة اختيار الباحث لهذا الكتاب – بخاصة- من بين كتبه ؛ أن الكتاب كتاب لغوي من الدرجة الأولى ، ولا يتوقع أحد أن يكون للسيوطي فيه مسائل بلاغية تفي بدراسة كاملة، ، فاستحضر الباحث النية ، وعقد العزم على قراءة هذا الكتاب- الذي يتكون من مجلدين ، كل مجلد يتجاوز الستمائة صفحة – ؛ لاستخراج ما فيه من مسائل بلاغية .

---

[٣] – ينظر: حسن المحاضرة – جـ٣- ص ٣٣٨- ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الأولى- ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

[٤] – ينظر: التحدث بنعمة الله – ص ٩٨-١١٦- مراجعة هيثم خليفة طعيمي- المكتبة العصرية – صيدا- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ.

[٥] – ينظر: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي- إياد خالد الطباع- ص ٣٠٩.

[٦] – المرجع السابق – ص ٣١٣.

كما تأتي أهمية هذا الكتاب في كونه يجمع جهود العلماء القدامى ، فضلا عن أنه ذكر ما يتعلق بالظواهر اللغوية المتعلقة بالمستويات الأربعة ، ففيه ظواهر صوتية ، وظواهر صرفية، وظواهر نحوية ، وظواهر دلالية.

أما عن منهج الباحث في هذه الدراسة ، فإنه يكمن في التالي:

أولا: اعتمد الباحث في الدراسة على كتاب " المزهر في علوم اللغة وأنواعها " للعلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطي ، شرحه وضبطه وصححه وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،وعلى محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، الطبعة الثالثة، من دون.

ثانيا: قرأ الباحث الكتاب قراءة متأنية، تتسم بالدقة والتروي والتمعن ، لاستخراج المسائل البلاغية للسيوطي من بين ثنايا سطور كلامه ، لأنه لم يفرد لها عناوين خاصة إلا في القليل النادر ، وإنما كان يأتي كلامه عن البلاغة في أثناء حديثه عن اللغة ، مما كان يتطلب من الباحث ، ويفرض عليه نوعًا من التمهل، ويلزمه أن يعاود القراءة مرة بعد أخري ، وكان الباحث دائما يشبه نفسه بمن يقتطف الورد من بين الشوك ، خوفا من أن يكون قد انتصر لنفسه وحمل كلام الإمام السيوطي ما لا يحتمل؛ لتكتمل فكرة البحث، وخوفا من أن يترك الورد متناثرا بين الشوك ، ويعود بعد كل هذه القراءة التي استغرقت منه وقتا طويلا ؛ ليقرر بأن الكتاب لا يحمل مسائل بلاغيةً تفي بهذه الدراسة.

ثالثا: صنف الباحث ما استخرجته من كلام السيوطي عن البلاغة على حسب علومها الثلاثة ، واتبع في ذلك منهج الخطيب ، من تقسيمها إلى معان وبيان وبديع، ووضع كل كلام تحت ما يناسبه.

رابعا: قسم الباحث كلامه في كل مسألة من المسائل إلى محاور أو عناصر ؛ لأن كلامه كان يأتي عن المسألة الواحدة في أماكن متعددة من كتابه، وكان في كل

مكان يتحدث عن جزئية قد لا تتعلق بالتي قبلها، من أجل ذلك قسم الباحث كلامه؛ ليسهل عليه الربط بين هذه الجزئيات.

خامسا: أعقب الباحث كلامه بشيء من التعقيب، قد يكون توضيحًا لبعض كلامه، أو تعضيدًا لكلامه بكلام غيره من البلاغيين، أو ترجيحا لرأي ذكره ، أو بيانا لمقصده من الكلام الذي قد يفهم خطأً[٧]، أو تعريفًا لبعض الألوان البلاغية الغامضة.

سادسا: عزى الباحث الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى مصادرها ، مع ضبطها بالشكل من باب إتمام الفائدة.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة، وتمهيد، و ثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع:

فأما المقدمة: فبينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياري له ، والمنهج وخطة الدراسة.

وأما التمهيد: فجاء على شقين:

الشق الأول: نبذة عن السيوطي .

الشق الثاني: نبذة عن كتابه" المزهر في علوم اللغة وأنواعها".

وتناول المبحث الأول: المسائل البلاغية للسيوطي في علم المعاني.

وضم المبحث الثاني: المسائل البلاغية للسيوطي في علم البيان.

واشتمل المبحث الثالث على: المسائل البلاغية للسيوطي في علم البديع.

وأما الخاتمة: ففيها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

---

[٧] – هناك بعض النصوص أوردها السيوطي يفهم منها عند القراءة الأولى أنه خلط بين الفنون البلاغية ، أو يفهم منها التناقض في المسألة الواحدة ، ولكن عند التدقيق والتدبر يتضح خلاف ذلك .

وبعد : فإن وفقت في إظهار شخصية الإمام السيوطي البلاغية ، فهذا من فضل الله وكرمه ، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله والسيوطي منه برآء ، ويجب عليَّ الاعتذار إن كنت فهمت كلامه فهمًا خاطئًا وحملته ما لا يحتمل.

الباحث

التمهيد

ويشتمل على شقين :

الشق الأول: نبذة عن السيوطي

ويأتي تفصيلها على النحو التالي:

نسبه ومولده:

الإمام السيوطي هو: الإمام الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبى المناقب أبى بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبى بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي([٨]). وُلِد السيوطي في القاهرة بعد المغرب ليلة يوم الأحد غرة شهر رجب سنة ٨٤٩هـ/ أكتوبر ١٤٤٥م، وعاش بها ([٩]).

نشأته:

نشأ السيوطي في بيت علم ، حيث رحل أبوه من أسيوط لدراسة العلم وهو يعتز بها وبجذوره ، وكان سليل أسرة اشتهرت بالعلم والتدين، وكان أبوه من العلماء الصالحين ذوي المكانة العلمية الرفيعة التي جعلت بعض أبناء العلماء والوجهاء يتلقون العلم على يديه. وقد توفي والده وله من العمر ست سنوات، فنشأ يتيمًا، واتَّجه إلى حفظ القرآن، فأتم حفظه وهو دون الثامنة، ثم حفظ بعض الكتب في تلك السن المبكرة مثل العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك، فاتسعت مداركه وزادت معارفه.

---

[٨] – ينظر: طبقات المفسرين / المؤلف : محمد بن على بن أحمد الداوودي / ج: ١/ ص: ٣٦٥ / تحقيق : سليمان بن صالح الخزي / الناشر : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة / الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م – و التحدث بنعمة الله – للسيوطي – ص٥.

[٩] – ينظر: التحدث بنعمة الله – ص ١٦– والنور السافر عن أخبار القرن العاشر– للعيدروس عبدالقادر شيخ– ص٢٩– مكتبة المدينة– من دون.

وكان السيوطي محل العناية والرعاية من عدد من العلماء من رفاق أبيه، وتولى بعضهم أمر الوصاية عليه، ومنهم الكمال بن الهمام الحنفي أحد كبار فقهاء عصره، وتأثر به تأثرًا كبيرًا خاصة في ابتعاده عن السلاطين وأرباب الدولة. وقام برحلات علمية عديدة شملت بلاد الحجاز والشام واليمن والهند والمغرب الإسلامي. ثم درَّس الحديث بالمدرسة الشيخونية. ثم تجرد للعبادة والتأليف عندما بلغ سن الأربعين([١٠]).

شيوخه:

كان منهج السيوطي في الجلوس إلى المشايخ ، هو أنه يختار شيخًا واحدًا يجلس إليه، فإذا ما توفِّي انتقل إلى غيره، وكان عمدة شيوخه (محيي الدين الكافيجي) الذي لازمه السيوطي أربعة عشر عامًا كاملة، وأخذ منه أغلب علمه في التفسير والأصول والعربية والمعاني، وأطلق عليه لقب (أستاذ الوجود). ومن شيوخه (شرف الدين المُنَاويّ) وأخذ عنه القرآن والفقه، و(تقي الدين الشبلي) وأخذ عنه الحديث أربع سنين، وأخذ العلم أيضًا عن شيخ الحنفية (الأقصرائي) و(العز الحنبلي)، و(المرزباني) و(جلال الدين المحلي) و(تقي الدين الشمني) و(علم الدين البلقيني)، وغيرهم([١١]).

ولم يقتصر تلقي السيوطي على الشيوخ من العلماء الرجال، بل كان له شيوخ من النساء اللاتي بلغن الغاية في العلم، منهن (آسية بنت جار الله بن صالح الطبري)، و(كمالية بنت عبد الله بن محمد الأصفهاني)، و(أم هانئ بنت الحافظ تقي الدين محمد بن محمد بن فهد المكي)، و(خديجة بنت فرج الزيلعي)، وغيرهن كثير([١٢]).

---

[١٠] – ينظر: إسعاف المبطأ برجال الموطأ- للسيوطي – جـ١- ص ٧- ت/ موفق فوزي جبر- دار الهجرة- بيروت – من دون.

[١١] – ينظر: طبقات المفسرين – للسيوطي – جـ١ص ١٦- ت/ على محمد عمر – مكتبة وهبة – الطبعة الأولى – ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م – و إسعاف المبطأ برجال الموطأ- جـ١- ص ٧.

[١٢] – ينظر: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ص٦٥- ٦٨.

رحلاته :

كانت الرحلات وما تزال طريقًا للتعلم، إلا أنها كانت فيما مضى من ألزم الطرق للعالم الذي يريد أن يتبحر في علمه، وكان السيوطي ممن سافر في رحلات علمية ليلتقي بكبار العلماء، فسافر إلى عدد من الأقاليم في مصر كالفيوم ودمياط والمحلة وغيرها، وسافر إلى بلاد الشام واليمن والهند والمغرب وتشاد ورحل إلى الحجاز وأقام بها سنة كاملة، وشرب من ماء زمزم، ليصل في الفقه إلى رتبة سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر العسقلاني.

ولما اكتملت أدوات السيوطي جلس للإفتاء عام ٨٧١ هـ،١٤٦٦م، وأملى الحديث في العام التالي، وكان واسع العلم غزير المعرفة، يقول عن نفسه: "رُزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع([١٣])"، بالإضافة إلى أصول الفقه والجدل، والقراءات التي تعلمها بنفسه، والطب، غير أنه لم يقترب من علمي الحساب والمنطق. ويقول: "وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله، أقول ذلك تحدثًا بنعمة الله لا فخرًا، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها في الفخر؟!"([١٤]). وكانت الحلقات العلمية التي يعقدها السيوطي يقبل عليها الطلاب، فقد عُيّن في أول الأمر مدرسًا للفقه بالشيخونية، وهي المدرسة التي كان يلقي فيها أبوه دروسه من قبل، ثم جلس لإملاء الحديث والإفتاء بجامع ابن طولون، ثم تولى مشيخة الخانقاه البيبرسية التي كانت تمتلئ برجال الصوفية. نشب خلاف بين السيوطي والمتصوفة، وكاد هؤلاء المتصوفة

---

[١٣] – إسعاف المبطأ برجال الموطأ – جـ١– ص ٧.

[١٤] – إسعاف المبطأ برجال الموطأ – جـ١– ص ٧.

أن يقتلوه، حينئذ قرر أن يترك الخانقاه البيبرسية، ويعتزل النـــاس ومجتمعـــاتهم ويتفرغ للتأليف والعبادة([١٥]).

اعتزال السيوطي الحياة العامة :

قضى السيوطي فترة غير قصيرة في خصومات مع عـــدد مـــن علمـــاء عصره، كان ميدانها الحملات الشرسة في النقد اللاذع في الترجمة المتبادلة، ومن خصومه: البرهان الكركي، وأحمد بن محمد القسطلاني، والشمس الجوجري، غير أن أشد خصوماته وأعنفها كانت مع شمس الدين السخاوي، الذي اتهم السيوطي بسرقة بعض مؤلفاته، واغتصاب الكتب القديمة التي لا عهد للناس بها ونســـبتها إلى نفسه.

ولم يقف السيوطي مكتوف الأيدي في هذه الحملات، بل دافع عن نفسه بحماســـة بالغة وكان من عادته أن يدعم موقفه وقراره بوثيقة ذات طابع أدبي، فألف رسالة في الرد على السخاوي، اسمها "مقامة الكاوي في الرد على السخاوي" نسب إليه فيها تزوير التاريخ، وأكل لحوم العلماء والقضاة ومشايخ الإسلام. وكـــان لهـــذه العلاقة المضطربة بينه وبين بعض علماء عصره، وما تعرض له من اعتداء في الخانقاه البيبرسية أثر في اعتزال الإفتاء والتدريس والحياة العامة ولزوم بيته في روضة المقياس على النيل، وهو في الأربعين من عمره، وألف بمناسبة اعتزالـــه رسالة أسماها المقامة اللؤلؤية، ورسالة "التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتـــاء والتدريس".

وقد تنبه بعض خصوم السيوطي إلى خطئهم فيما صوبوه إلى هذا العالم الجليل من سهام في النقد والتجريح وخصومات ظالمة، فأعلنوا عن خطـــئهم، وفـــي مقـــدمتهم الشـــيخ القسطلاني الذي أراد أن يسترضي هذا العالم الجليل الذي لزم بيته وعـــزف عـــن لقـــاء

---

[١٥] – ينظر: مشاهير أعلام المسلمين – جمع وإعداد / علي بن نايف الشحود– ص ٨٣٥ – مـــن دون.

الناس، فتوجه إليه حافيًا معتذرًا، غير أن هذا الأمر لم يجعل السيوطي يقطع عزلته ويعود إلى الناس، ولكنه استمر في تفرغه للعبادة والتأليف(١٦).

مكانته العلمية :

كان السيوطي من أبرز معالم الحركة العلمية والدينية والأدبية في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، حيث ملأ نشاطه العلمي في التأليف مختلف الفروع في ذلك الزمان من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وطبقات ونحو ولغة وأدب وغيرها، فقد كان موسوعي الثقافة والاطلاع.

وقد أعانه على كثرة تأليفه انقطاعه التام للعمل وهو في سن الأربعين حتى وفاته، وثراء مكتبته وغزارة علمه وكثرة شيوخه ورحلاته، وسرعة كتابته، فقد اتسع عمره التأليفي (٤٥) سنة، حيث بدأ التأليف وهو في السابعة عشرة من عمره، وانقطع له (٢٢) عامًا متواصلة، ولو وُزع عمره على الأوراق التي كتبها لأصاب اليوم الواحد (٤٠) ورقة، على أن القسم الأكبر من تأليفه كان جمعًا وتلخيصًا وتذييلا على مؤلفات غيره، أما نصيبه من الإبداع الذاتي فجدّ قليل(١٧).

وتمنى السيوطي أن يكون إمام المائة التاسعة من الهجرة لعلمه الغزير، فيقول: "إني ترجيت من نعم الله وفضله أن أكون المبعوث على هذه المائة، لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم". وقد زادت مؤلفات السيوطي على الثلاثمائة كتاب ورسالة، عدّ له بروكلمان (٤١٥) مؤلفا، وأحصى له "حاجي خليفة" في كتابه "كشف الظنون" حوالي (٥٧٦) مؤلفا، ووصل بها بعضهم كابن إياس إلى (٦٠٠) مؤلف. و من مؤلفاته في علوم القرآن والتفسير: "الإتقان في علوم التفسير"، و"متشابه القرآن"، و" الإكليل في استنباط التنزيل"، و"مفاتح الغيب في التفسير"، و"طبقات المفسرين"، و"الألفية في القراءات العشر".أما الحديث وعلومه، فكان

---

١٦ – ينظر:مشاهير أعلام المسلمين– ص ٨٣٦.

١٧ – ينظر: المرجع السابق – ٨٣٧.

السيوطي يحفظ مائتي ألف حديث كما روى عن نفسه، وكان مغرما بجمع الحديث واستقصائه لذلك ألف عشرات الكتب في هذا المجال، يشتمل الواحد منها على بضعة أجزاء، وفي أحيان أخرى لا يزيد عن بضع صفحات.. ومن كتبه: "إسعاف المبطأ في رجال الموطأ"، و" تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك"، و" جمع الجوامع"، و" الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة"، و" المنتقى من شعب الإيمان للبيهقي"، و"أسماء المدلسين"، و"آداب الفتيا"، و" طبقات الحفاظ"([١٨]).

مؤلفاته:

ألف جلال الدين السيوطي عددا كبيرا من الكتب والرسائل إذ يذكر ابن إياس في "تاريخ مصر" أن مصنفات السيوطي بلغت ستمائة مصنف. وقد ألف في طيف واسع من المواضيع تشمل التفسير والفقه والحديث والأصول والنحو والبلاغة والتاريخ والتصوف والأدب وغيرها. ومن هذه المصنفات:

١- الإتقان في علوم القرآن " ط ([١٩])" .
٢- شرح سنن ابن ماجه " ط".
٣- إسعاف المبطأ برجال الموطأ " ط".
٤- الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء" ط" .
٥- الأشباه والنظائر (في النحو) " ط".
٦- إحياء الميت بفضائل أهل البيت" ط" .
٧- الأشباه والنظائر (في أصول الفقه وقواعده الكلية) " ط" .
٨- الجامع الصغير من حديث البشير النذير" خ([٢٠])" .
٩- الجامع الكبير" م([٢١])" .

---

[١٨] – ينظر:حسن المحاضرة – جـ١- ٤٣١-و إسعاف المبطأ برجال الموطأ – جـ١- ص ٨- ومشاهير أعلام المسلمين – ص ٨٣٧.
[١٩] – هذا الرمز يشير إلى أن الكتاب مطبوع .
[٢٠] – هذا الرمز يشير إلى أن الكتاب مخطوط .
[٢١] – هذا الرمز يشير إلى إن الكتاب مفقود .

١٠-الحاوي للفتاوى" ط" .
١١-الحبائك في أخبار الملائك " ط".
١٢-الدر المنثور في التفسير بالمأثور" ط" .
١٣-الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة " خ ".
١٤-الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج " ط".
١٥-العرف الوردي في أخبار المهدي" ط" .
١٦-الغرر في فضائل عمر" ط" .
١٧-ألفية السيوطي في مصطلح علوم الحديث " ط" .
١٨-الكاوي على تاريخ السخاوي (ألفه بسبب خصومته مع السخاوي) "ط"
١٩-اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة " ط".
٢٠-المَدْرَج إلى المُدْرَج" ط" .
٢١-المزهر في علوم اللغة وأنواعها " ط".
٢٢-المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب " ط".
٢٣- أسباب ورود الحديث " م" .
٢٤-أسرار ترتيب القرآن " م".
٢٥-أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب" ط".
٢٦-إرشاد المهتدين إلى نصرة المجتهدين " م" .
٢٧-إعراب القرآن" ط" .
٢٨-إلقام الحجر لمن زكى ساب أبي بكر وعمر " خ" .
٢٩-تاريخ الخلفاء " ط".
٣٠-تحذير الخواص من أحاديث القصاص" ط" .
٣١-تحفة الأبرار بنكت الأذكار النووية " ط" .
٣٢-تدريب الراوى في شرح تقريب النواوي " ط".

٣٣-تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك " خ".
٣٤-تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش " ط".
٣٥-تنوير الحوالك شرح موطأ مالك " ط" .
٣٦-تنبيه الغبيّ في تبرئة ابن عربي " ط".
٣٧-حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة " ط" .
٣٨-در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة" ط" .
٣٩-ذم المكس " ط".
٤٠-شرح السيوطي على سنن النسائي " ط" .
٤١-صفة صاحب الذوق السليم " ط".
٤٢-طبقات الحفّاظ " ط".
٤٣-طبقات المفسرين " ط".
٤٤-عقود الجمان في علم المعاني والبيان " ط".
٤٥-عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد في إعراب الحديث " ط".
٤٦-عين الإصابة في معرفة الصحابة " ط".
٤٧-كشف المغطي في شرح الموطأ" ط" .
٤٨-لب اللباب في تحرير الأنساب " خ".
٥٠-- لباب الحديث " م" .
٥١-لباب النقول في أسباب النزول " خ" .
٥٢-ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين " خ".
٥٣-مشتهى العقول في منتهى النقول" ط" .
٥٤-مطلع البدرين فيمن يؤتى أجره مرتين " خ".
٥٥-مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة "خ" .
٥٦-مفحمات الأقران في مبهمات القرآن " ط".

٥٧-نظم العقيان في أعيان الأعيان "خ".

٥٨-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع" ط".

٥٩-التحدث بنعمة الله – ذكر فيه بعض علومه وترجمته" ط" .

٦٠-معجم مؤلفات السيوطي – وأسماه تارة: فهرست مؤلفاتي " خ".

٦١-الفارق بين المصنف والسارق – وهو أول كتاب فقهي حول الملكية الفكرية التي لم يتعرف عليها العالم إلا في عام ١٨٨٦م، من خلال اتفاقية بـــرن لحقـــوق المؤلف" ط" .

٦٢- طب النفوس " خ".

٦٣- الرحمة في الطب و الحكمة([٢٢])" ط".

وفاته: توفي الإمام السيوطي في منزله بروضة المقياس على النيل في القاهرة في ١٩ جمادى الأولى٩١١ هـــ،الموافق٢٠أكتوبر١٥٠٥م،ودفن خارج باب القرافة في القاهرة، ومنطقة مدفنه تعرف الآن بمقابر سيدي جلال نسبة إليه،وقبره معروف هناك([٢٣]).

الشق الثاني : نبذة عن كتابه" المزهر في علوم اللغة وأنواعها

ملخص الكتاب:

---

[٢٢] – ينظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص٢٩- و الإمـــام الحـــافظ جـــلال الـــدين السيوطي ص ٣١٤- ٤٠٥- ومشاهير أعلام المسلمين – ص ٨٣٢، ٨٣٣.

[٢٣] – ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة – محمد بن محمد الغزي نجم الدين – جـــــ ١ص ٢٣١ – ت/ خليل منصور – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – ١٤١٨هـــــ- ١٩٩٧م .ـــ والإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ص٤٣٦،٤٣٧- ومشاهير أعلام المسلمين – ص ٨٣٩.

هذا الكتاب موسوعة في علوم اللغة ، وقد ضمنه السيوطي موضوعات لغوية عدة اقتبسها من كتب السابقين ، ورتبها وعرضها عرضا جيدا ، حيث جعله في خمسين نوعا ، ثمانية في اللغة من حيث الإسناد، وثلاثة عشر من حيث لطائفها وملحها ، وواحد راجع إلي حفظ اللغة وضبط مفاريدها ، وثمانية راجعة إلى حال اللغة ورواتها، ونوع لمعرفة الشعر والشعراء، والأخير لمعرفة الأغلاط. وفي ضمن هذه الأنواع مادة واسعة حول نشأة اللغة ، والمصنوع ، والفصيح، والغريب ، والمستعمل ، والمهمل ، واللغات ، واللهجات ، والإبدال ، والقلب ، والنحت ، والاشتقاق ، والمجاز ، والمترادف ، والمشترك ، والمتضاد ، وغيرها من البحوث اللغوية ([٢٤]).

الأنواع التي اشتمل عليها الكتاب:

النوع الأول: معرفة الصحيح الثابت.

الثاني : معرفة ما رُوي من اللغة ولم يصحَّ ولم يثبت .

الثالث : معرفةُ المُتواتر والآحاد.

الرابع : معرفةُ المُرسَل والمنقطع .

الخامس : معرفة الأفراد .

السادس : معرفة مَن تُقْبَل روايته ومن تُرَدُّ .

السابع : معرفة طرق الأخذ والتَّحمل.

الثامن : معرفة المصنوع وهو الموضوع ويذكر فيه المُدرج والمسروق.

التاسع: معرفة الفصيح .

العاشر : معرفة الضعيف والمُنْكَر والمتروك .

الحادي عشر : معرفة الرديء المذموم .

---

[٢٤] – ينظر: كتاب الارتقاء بالكتابة – تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد جـ١– ص ١٧ــ من دون .

الثاني عشر: معرفة المطَّرد والشاذّ.

الثالث عشر : معرفة الحُوشي والغرائب والشَّوَارد والنوادر.

الرابع عشر : معرفة المُهْمَل والمستعمل.

الخامس عشر : معرفة المَفَاريد.

السادس عشر : معرفة مختلف اللغة.

السابع عشر : معرفة تَدَاخُل اللغات.

الثامن عشر : معرفة توافق اللغات .

التاسع عشر : معرفة المُعَرَّب .

العشرون : معرفة الألفاظ الإسلامية .

الحادي والعشرون : معرفة المولّد.

الثاني والعشرون : معرفة خَصائص اللغة.

الثالث والعشرون : معرفة الاشتقاق.

الرابع والعشرون : معرفة الحقيقة والمجاز.

الخامس والعشرون: معرفة المُشْتَرك .

السادس والعشرون : معرفة الأضداد.

السابع والعشرون : معرفة المُتَرَادف .

الثامن والعشرون : معرفة الإتباع .

التاسع والعشرون : معرفة الخاصّ والعام .

الثلاثون : معرفة المطلَق والمقيد .

الحادي والثلاثون : معرفة المشَجّر.

الثاني والثلاثون : معرفة الإبدال .

الثالث والثلاثون : معرفة القَلْب .

الرابع والثلاثون : معرفة النَّحْت .

الخامس والثلاثون : معرفة الأمثال .

السادس والثلاثون : معرفة الآباء والأمهات والأبناء والبنات والإخوة والأخـــوات والأذواء والذوات.

السابع والثلاثون : معرفة ما وردَ بوجهين بحيث يُؤْمَن فيه التَّصْحيف.

الثامن والثلاثون:معرفة ما ورد بوجهين بحيث إذا قرأه الألثغ لا يُعَاب .

التاسع والثلاثون : معرفة الملاحن والألغاز وفُتْيا فقيه العرب .

الأربعون : معرفة الأشْبَاه والنظائر.

الحادي والأربعون : معرفة آداب اللغوي.

الثاني والأربعون : معرفة كتاب اللّغة .

الثالث والأربعون :معرفة التَّصْحيف والتحريف .

الرابع والأربعون : معرفة الطبقات والحفَّاظ والثقات والضعفاء .

الخامس والأربعون : معرفة الأسماء والكُنَى والألقاب والأنسَاب.

السادس والأربعون : معرفة المؤتَلف والمختلف.

السابع والأربعون : معرفة المتَّفق والمفترق .

الثامن والأربعون : المواليد والوفَيَات .

التاسع والأربعون : معرفة الشعر والشعراء .

الخمسون : معرفةُ أغْلاَط العرب([٢٥]).

---

[٢٥] – ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها – للعلامة عبدالرحمن جـــلال الـــدين الســـيوطي جـــ١– ص ١–٤– شرحه وضبطه وصححه وعلق حواشيه: محمد أحمد جـــاد المـــولى بـــك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوي– مكتبة دار التراث – الطبعة الثالثـــة– مـــن دون.

المبحث الأول

المسائل البلاغية للسيوطي في علم المعاني

الفصاحة:

بعد قراءة كلام الإمام السيوطي في المزهر عن الفصاحة ، يمكننا تقسيم كلامه – ليسهل علينا فهمه ومناقشته– إلى المحاور التالية:

المحور الأول:تقسيم الفصاحة.

المحور الثاني: تعريف الفصاحة.

المحور الثالث: مقياس الفصاحة.

المحور الرابع: ضوابط الفصاحة أو عيوب الفصاحة.

المحور الخامس:بعض الإشكالات في العيوب والرد عليها.

المحور السادس:تقسيم الغرابة والابتذال.

المحور السابع:معيار الثقل في الحروف.

المحور الثامن: رتب الفصاحة.

المحور التاسع: فصاحة الكلمة معتمدة على صيغتها وسياقها.

المحور العاشر: شروط الفصاحة.

المحور الحادي عشر: من عيوب فصاحة الكلام ، التعقيد اللفظي.

المحور الأول:**تقسيم الفصاحة**:

تعرض لباب الفصاحة ، وذلك تحت قوله: معرفة الفصيح ، وقسم الفصاحة إلى قسمين:

أحدهما :بالنسبة إلى اللفظ .

والثاني:بالنسبة إلى المتكلِّم به([٢٦]).

ولعله يقصد بالأول : فصاحة الكلمة ، ويقصد بالثاني فصاحة الكلام ، والدليل على ذلك أنه بعد ذكرهما ، قال:والأول أخص من الثاني ؛ لأن العربيَّ الفصيح قد يتكلم بلفظة لا تعدُّ فصيحة([٢٧]). لأن فصاحة الكلمة جزء من فصاحة الكلام.

ولعل السيوطي من خلال كلامه السابق يرى أن الفصاحة مختصة باللفظ ، أي أن اللفظ يكون فصيحا ، ولا يقال عنه بليغا إلا إذا كان في نظم ، ولذلك فكل بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا ، وبذلك يتبين لنا أن السيوطي سار على نهج ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة([٢٨]) ، وتابع ابن الأثير في كتابه المثل السائر([٢٩])، وخطا خطاهم الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة ([٣٠]).

في حين رفضه الإمام عبدالقاهر في كتابه " دلائل الإعجاز" ، وصرح بأن الفصاحة لا تقتصر على الألفاظ بل هي في المعاني أيضا، حيث قال:"وهل تجدُ أحدًا يقولُ: هذه اللفظةُ فصيحةٌ إلاَّ وهو يعتبرُ مكانَها منَ النظم ، وحسنَ مُلائمةِ معناها لمعنى جاراتِها ، وفضلَ مؤانَستها لأخواتها ، وهل قالوا: لفظةٌ متمكّنةٌ

---

[٢٦] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ١٨٤.

[٢٧] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها– جـ١– ١٨٤.

[٢٨] – ينظر: سر الفصاحة – لابن سنان الخفاجي – ص ٥٩ – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – ١٩٨٢م.

[٢٩] – ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر– لابن الأثير – جـ١– ٩٢– قدمه وعلق عليه / د/ أحمد الحوفي – و د/ بدوي طبانة – دار نهضة مصر للطبع والنشر– من دون .

[٣٠] – ينظر: جواهر البلاغة – ص ٤٠–٤١– ت/ د/ يوسف الصميلي– المكتبة العصرية– ١٤٣١هـ–٢٠١٠م.

ومقبولةٌ وفي خلافهِ: قلقةٌ ونابيةٌ ومستكرهةٌ إلا وغرضُهم أن يُعبروا بالتمكُّن عن حسنِ الاتفاق بينَ هذه وتلك من جهةِ معناهُما ، وبالقلق والنُبّو عن سوء التلاؤم. وأنَّ الأولى لم تَلِقْ بالثانية في مَعناها ، وأن السابقَةَ لم تصلُحْ أن تكونَ لِفقًا للتالية في مُؤدَّاها([٣١])".

المحور الثاني: **تعريف الفصاحة**:

عرف الفصاحة نقلا عن الراغب الأصفهاني ، فقال:" الفَصْحُ : خلوصُ الشيء مما يشوبهُ وأصله في اللَّبن يقال : فَصَّح اللبنُ وأفْصَحَ فهو فصّيح ومُفْصح إذا تعرَّى من الرَّغوَةِ قال الشاعر :

وتَحْتَ الرَّغْوة اللَّبَنُ الفَصِيحُ([٣٢]).

وهذا هو تعريف الفصاحة في اللغة الذى ارتضاه كثير من علماء البلاغة([٣٣])، واعترض عليه بعضهم ، ومنهم الخطيب القزويني الذي قال:" للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة ، لم أجد – فيما بلغني منها – ما يصلح لتعريفهما به([٣٤])". وصاحب المثل السائر ، حيث كان له بعض الاعتراضات([٣٥]) ، فضلنا عدم ذكرها خشية الإطالة.

---

[٣١] – دلائل الإعجاز– للإمام عبدالقاهر الجرجاني– ص ٤٤– ت/ محمود محمد شاكر– مكتبة الخانجي بالقاهرة– الطبعة الخامسة– ١٤٢٤هـ٢٠٠٤م.

[٣٢] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ١– ص ١٨٤.

[٣٣] – ينظر: سر الفصاحة – لابن سنان الخفاجي – ص ٥٨– والتعريفات – لعلي بن محمد الجرجاني – ص ٢١٤– ت/ إبراهيم الإبياري– دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ– وجواهر البلاغة – للهاشمي– ص ١٩ .

[٣٤] – الإيضاح للخطيب القزويني – ص ١١– تحقيق / خفاجي– مكتبة المعارف–الطبعة الأولى– ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

[٣٥] – ينظر: المثل السائر – لابن الأثير – جـ١– ص ٩٠.

المحور الثالث: مقياس الفصاحة:

تعرض لمقياس الفصاحة ، وهو كثرة استعمال العرب لها ، حيث قال:" والمفهومُ من كلام ثعلب أن مَدَار الفصاحةِ في الكلمة على كَثْرَة استعمال العرب لها؛ فإنه قال في أول فصيحه- أي فصيح ثعلب وهو كتاب- : هذا كتابُ اختيار الفصيح ، مما يجري في كلام الناس وكتبهم([٣٦])".

ثم يؤيد هذا الرأي ويقول: ولا شك في أن ذلك هو مدار الفصاحة([٣٧]).

ثم يدلل على رأيه هذا بكلام الخطيب القزويني ، حيث قال- أي الخطيب- في نهاية ذكره للعيوب :" ثم علامةُ كون الكلمة فصيحةً أن يكون استعمالُ العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرًا ، أو أكثرَ من استعمالهم ما بمعناها ، وهذا ما قدَّمتُ تقريره في أول الكلام ؛ فالمرادُ بالفصيح ما كَثُر استعمالهُ في أَلْسنَة العرب([٣٨])".

فقوله : وهذا ما قدَّمتُ تقريره في أول الكلام ، فكأنه أراد أن يقول : أن الخطيب تبنى هذا الرأي- من قبل- ، في أن المراد بالفصيح هو ما كثر استعماله عند العرب بغض النظر عن العيوب .

ثم بدأ يسرد بعض الأدلة والأقوال الأخرى التي تؤيد ما ذهب إليه، فذكر قول الجار يردي في شرح الشافية: فإن قلتَ : ما يُقْصَدُ بالفصيح ؟ وبأيّ شيءٍ يُعْلَم أنه غيرُ فصيح وغيره فصيح ؟ قلت : أن يكونَ اللفظُ على أَلْسنَة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدْور ، واستعمالهم لها أكْثر([٣٩]).

ولعل ذلك فيه خلاف لجمهور علماء البلاغة؛ لأن مقياس الفصاحة عندهم خلوها من العيوب التي تخل بفصاحة الكلمة ، والتي اتفق عليها العلماء واشتهرت في

---

[٣٦] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ١٨٥.
[٣٧] – المرجع السابق – جـ١– ص ١٨٥.
[٣٨] – المرجع السابق – جـ١– ص ١٨٧.
[٣٩] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ١٨٧.

كتبهم، وليس المقياس على كثرة الاستعمال فقط ؛ لأن هناك كلمات كثيرة لا ترد كثيرا في استعمال الناس لها ، وهي في ذروة البلاغة والفصاحة ، وكذلك هناك بعض الكلمات ترد كثيرا في الاستخدام ولكنها غير فصيحة.

ثم اختار ما عليه علماء البلاغة الذي أشرنا إليه من قبل ، – وهو خلو الكلمة والكلام من العيوب التي تخل بفصاحتهما – ، فقال:" ورأى المتأخرون من أرباب علوم البلاغة أن كل أحدٍ لا يمكنه الاطّلاع على ذلك ؛ لتَقَادُم العهد بزمان العرب ؛ فحرَّرُوا لذلك ضابطًا يُعْرَفُ به ما أكثرت العربُ من استعماله من غيره ؛ فقالوا : الفصاحةُ في المفرد : خلوصه من تَنَافُرِ الحروف ، ومن الغَرَابة ، ومن مخالفة القياس اللّغوي([٤٠]) ".

وكأنه بهذا الكلام يعترف بأن المقياس هو خلو الكلمة من هذه العيوب الثلاثة ، وليس المقياس كثرة الاستعمال ولا قلته.

ولذلك نراه في نهاية كلامه عن الفصاحة يذكر رأيا آخر ، ويصرح بأن كثرة الاستعمال ليست دليلا واضحا على الفصاحة ، كما أن قلة الاستعمال ليست دليلا واضحا على عدم الفصاحة، حيث قال نقلا عن بعض العلماء :" وليست الفصاحة في كثرة الاستعمال ، ولا قلَّته([٤١])".

ويستدل برأي ابن دستورية ، حيث قال:" ثم قال ابن دستورية : وليس كُلُّ ما ترك الفصحاءُ استعماله بخطأ؛ فقد يتركون استعمالَ الفصيح ؛ لاستغنائهم بفصيحٍ آخر، أو لعلَّة غير ذلك([٤٢])".

---

[٤٠] – المرجع السابق – جـ١– ص ١٨٥.
[٤١] – المرجع السابق – جـ١– ص ٢٠٨.
[٤٢] – المرجع السابق – جـ١– ص ٢٠٨.

المحور الرابع :ضوابط الفصاحة أو عيوب الفصاحة:

تحدث عن عيوب الفصاحة ، ونقل في ذلك كلام الخطيب ، فقال:" ورأى المتأخرون من أرباب علوم البلاغة أن كل أحدٍ لا يمكنه الاطّلاع على ذلك ؛ لتَقَادُم العهد بزمان العرب ؛ فحرَّرُوا لذلك ضابطًا يُعْرَفُ به ما أكثرت العربُ من استعماله من غيره ؛ فقالوا : الفصاحةُ في المفرد : خلوصه من تَنَافُر الحروف ، ومن الغَرَابة ، ومن مخالفة القياس اللّغوي.

(التنافر)

فالتنافُر منه ما تكونُ الكلمةُ بسببه مُتناهيةً في الثّقَل على اللسان وعُسْر النُّطْق بها ؛ كما رُوي أن أعرابيًا سُئل عن ناقته ، فقال : تركتها تَرْعى الهُعْخُع .ومنه ما هو دون ذلك كلفظ مُسْتَشْزر ، في قول امرىء القيس:

غَدَائرُه مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلاَ

وذلك لتوسُّط الشين وهي مَهْموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة.

(الغرابة)

والغرابةُ أن تكون الكلمة وحْشيَّة لا يظهر معناها؛ فيحتاج في معرفتها إلى أن يُنَقّر عنها في كتب اللغة المبسوطَة ؛ كما رُوي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس ، فقال : ما لكم تَكَأْكَأْتُمْ عليَّ تَكَأْكُؤَكم على ذي جنَّة افْرَنْقعوا عَنّي .

أي اجْتَمَعْتم ، تَنحَّوا .

أو يخرج لها وجه بعيد كما في قول العجّاج :

وفَاحِمًا ومَرْسِنًا مُسَرَّجا

فإنه لم يعرف ما أراد بقوله : مسرجا ، حتى اختلف في تخريجه؛ فقيل : هو من قولهم للسُّيوف سُرَيْجيَّة منسوبة إلى قَيْن يقال له سُرَيج ، يريد أنه في الاستواء والدّقة كالسيف السُّرَيْجَي ، وقيل من السِّراج يريد أنه في البريق كالسّراج .

(مخالفة القياس)

ومخالفة القياس كما في قول الشاعر :

الحمدُ للّه العَليّ الأَجْلَل

فإن القياس الأجَلّ بالإدغام .

وزاد بعضُهم في شروط الفصاحة : خلوصُه من الكراهة في السَّمْع ، بأن يمجَّ الكلمةَ وينبو عن سماعها ، كما ينبو عن سماع الأصوات المُنْكَرة ؛ فإن اللَّفظ من قبيل الأصوات ، والأصوات منها ما تستلذّ النفسُ بسماعه ، ومنها ما تكره سماعَه ؛ كلفظ الجرشَّى في قول أبي الطيب :

كريمُ الجرشَّى شريفُ النَّسَبْ

أي كريم النفس ، وهو مردود ؛ لأن الكراهَة لكَوْن اللفظ حُوشيًّا ؛ فهو داخلٌ في الغرابة . هذا كله كلام القَزْويني في الإيضاح([٤٣])".

وهو بذلك يكون قد ذكر العيوب مع التعريفات ، و صرح بأن ذلك كلام القزويني في الإيضاح([٤٤]).

ولكن هذا المنهج مخالف لما سار عليه الإمام عبد القاهر ، حيث اعترض على ذكر العيوب بدون أن نفصل القول فيها ، ونضع أيدينا على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم ، ونعدها واحدة واحدة ، ونسميها شيئا شيئا ،ثم بين لنا إن فعلنا ذلك احتجنا إلى صبر على التأمل ومواظبة على التدبر([٤٥]).

---

[٤٣] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ١٨٥–١٨٧.

[٤٤] – ينظر: الإيضاح– ص ١١–١٣.

[٤٥] – ينظر: دلائل الإعجاز– ص ٣٦–٣٧.

المحور الخامس: بعض الإشكالات في العيوب والرد عليها:

ثم بدأ يسرد بعض الفوائد ، ومنها قول ابن السبكي في عروس الأفراح :" ينبغي أن يُحمَل قوله : (والغرابة) على الغَرَابة بالنسبة إلى العرب العَرْباء ؛ لا بالنّسبة إلى استعمال الناس ، وإلاّ لكان جميعُ ما في كُتُب الغريب غيرَ فصيح ، والقَطعُ بخلافه . قال : والذي يقتضيه كلامُ المفتاح وغيره أن الغَرَابة قلّةُ الاستعمال ؛ والمرادُ قلّةُ استعمالها لذلك المعنى لا لغَيره([٤٦]).

ثم تابع كلام ابن السبكي ، فقال:" الثانية – قال الشيخ بهاءُ الدين : قد يَرد على قوله : (ومخالفة القياس) ما خالَف القياسَ وكَثُر استعماله ، فورد في القرآن فإنه فصيح مثل اسْتَحْوذ .

وقال الخطيب في شرح التلخيص : أما إذا كانت مخالفةُ القياس لدّليل فلا يخرج عن كونه فصيحًا ، كما في سُرر؛ فإن قياس سَرير أنْ يجمع على أَفْعلة وفعْلاَن ، مثل أرغفة ورُغْفان.

وقال الشيخ بهاءُ الدين : إن عَنَى بالدليل ورودَ السَّماع فذلك شرطٌ لجواز الاستعمال اللُّغوي ، لا الفَصَاحة ؛ وإن عَنَى دليلاً يصيّره فصيحًا وإن كان مخالفًا للقياس ، فلا دليلَ في سُرر على الفصَاحة إلاّ وروده في القرآن ؛ فينبغي حينئذ أن يُقال : إن مخالفة القياس إنما تُخلُّ بالفصاحة حيث لم يقع في القرآن الكريم .

قال : ولقائل أن يقولَ حينئذ : لا نُسَلِّم أن مخالفةَ القياس تُخلُّ بالفصاحة ، ويُسْنَد هذا المنع بكَثْرة ما وَرَدَ منه في القرآن ؛ بل مخالفةُ القياس مع قَلَّة الاستعمال مجموعُهما هو المخلّ .

قلت : والتَّحقيقُ أن المُخلّ هو قلةُ الاستعمال وحدّها ؛ فرجعت الغَرَابةُ ومخالفةُ القياس إلى اعتبار قلّة الاستعمالَ والتنافر كذلك؛ وهذا كلُّه تقريرٌ لكَوْن مدَار الفصاحة على كثرة الاستعمال وعدمها على قلَّته.

---

[٤٦] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ١٨٧–١٨٨.

الثالثة – قال الشيخ بهاء الدين : مُقْتَضى ذلك أيضاً أن كلَّ ضرورة ارتكبها شاعر فقد أخرجت الكلمةَ عن الفَصَاحة .وقد قال حازم القرطاجني في منْهاج البُلَغَاء : الضَّرائر الشائعة منها المُسْتَقْبَحُ وغيره ، وهو ما لا تستوحش منه النَّفَس ؛ كصَرْف ما لا ينصرف ، وقد تستوحش منه في البعض ، كالأَسْماء المَعْدُولة ، وأشدّ ما تَسْتَوْحشُه تنوينُ أفعل منه ، ومما لا يُسْتَقْبَح قصرُ الجمع الممدود، ومَدّ الجمع المقصور، وأقبحُ الضرائر الزيادةُ المؤدّيةُ لما ليس أصلاً في كلامهم

كقوله: أدْنو فأنظُور ، أي أنظر . والزيادة المؤدّيةُ لما يقلَّ في الكلام، كقوله: فأطأت شيمالي ؛ أي شمالي.

وكذلك النقص المُجْحف كقوله :

دَرَسَ المَنَا بمُتَالَعٍ فأبانا

أي المنازل .

وكذلك العدول عن صيغة إلى أخرى كقوله :

جَدْلاَءُ محْكَمةٍ من نَسْج سَلَّام

أي سليمان .

وأطلق الخفاجيّ في سرّ الفصاحة أن صرفَ غير المنصرف وعكْسّه في الضرورة مخلٌّ بالفصاحة .

الرابعة – قال الشيخ بهاءُ الدين : عدَّ بعضهم من شروط الفصاحة ألاَّ تكونَ الكلمةُ مُبتَذلة : إما لتغيير العامَّة لها إلى غير أصل الوضع؛ كالصُّرْم للقَطْع ، جعلته العامة للمحلّ المخصوص، وإما لسخافتها في أصل الوضع كاللَّقَالق ، ولهذا عدَل في التنزيل إلى قوله : (فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ[٤٧]) ؛ لسخافة لفظ الطّوب وما رَادَفه كما قال الطيبي.

[٤٧] – من الآية ٣٨من سورة القصص.

ولاستثقال جَمع الأرض لم تُجْمَع في القرآن، وجُمعت السماء؛ حيثُ أُريد جمعها؛ قال: (وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ[٤٨])، ولاسْتَثقال اللُّب لم يقع في القرآن، ووقع فيه جمعُه وهو الألباب لخفَّته([٤٩]).

المحور السادس: **تقسيم الغرابة والابتذال**:

ذكر الإمام السيوطي رأي حازم في المنهاج في تقسيم الابتذال والغرابة ، فقال:" وقد قسَّم حازم في المنهاج الابتذالَ والغَرَابة ، فقال : الكلمة على أقسام :

الأول : ما استعملَتْهُ العربُ دون المحدثين ، وكان استعمال العرب له كثيرًا في الأشعار وغيرها ؛ فهذا حسنٌ فصيح .

الثاني : ما استعملَتْه العربُ قليلًا ، ولم يحسن تأليفُه ولا صيغتُه ؛ فهذا لا يَحْسُن إيراده .

الثالث : ما استعملَتْهُ العربُ وخاصَّةُ المحدثين دون عامتهم ؛ فهذا حسنٌ جدًّا ؛ لأنه خلص من حُوشيَّة العرب وابتذال العامّة.

الرابع : ما كثُر في كلام العرب وخاصَّة المحدثين وعامتهم، ولم يكثر في أَلْسنة العامة ؛ فلا بأس به .

الخامس : ما كان كذلك ، ولكنه كثُرَ في ألْسنة العامة ؛ وكان لذلك المعنى اسمٌ استغنتْ به الخاصَّةُ عن هذا ، فهذا يَقْبَحُ استعماله لابتذاله.

السادس : أن يكون ذلك الاسم كثيرًا عند الخاصة والعامة ، وليس له اسمٌ آخر ، وليست العامة أحوج إلى ذكْره من الخاصة، ولم يكن من الأشياء التي هي أنسب بأهل المِهَن؛ فهذا لا يَقْبُح ، ولا يُعَدُّ مُبْتَذَلاً؛ مثل لفظ الرأس والعين.

السابع : أن يكون كما ذكرناه ، إلاّ أن حاجة العامّة له أكثر ، فهو كثير الدَّوَرَان بينهم كالصنائع ؛ فهذا مُبتذل .

---

[٤٨] – من الآية ١٢من سورة الطلاق .

[٤٩] – المزهر– جـ١– ١٨٨–١٨٩.

الثامن : أن تكون الكلمةُ كثيرةَ الاستعمال عند العرب والمحدّثين لمعْنًى ، وقد استعملها بعضُ العرب نادراً لمعنى آخر ؛ فيجب أن يُجْتَنَبْ هذا أيضًا.

التاسع : أن تكون العربُ والعامةُ استعملوها دون الخاصّة ، وكان استعمالُ العامَّة لها من غير تغيير؛ فاستعمالها على ما نطقت به العربُ ليس مبتذلاً ، وعلى التغيير قبيحٌ مُبْتَذَل.

ثم اعلم أن الابتذالَ في الألفاظ وما تدل عليه ليس وصفًا ذاتيًا ولا عَرَضًا لازمًا ، بل لاحقًا من اللَّواحق المتعلّقة بالاستعمال في زمان دون زمان ، وصُقْع دون صُقع . انتهى([٥٠])".

المحور السابع: **معيار الثقل في الحروف**:

تحدث عن معيار الثقل في الحروف ، نقلا عن ابن دريد في الجمهرة ، فقال:" اعلم أن الحروفَ إذا تقاربت مخارجُها كانت أثقَل على اللّسان منها إذا تباعدت ؛ لأنك إذا استعملتَ اللسانَ في حروف الحَلْق دون حروف الفم ، ودون حروف الذَّلاقة، كلَّفته جَرْسًا واحدًا، وحركاتٍ مختلفة ؛ ألا ترى أنك لو أَلَّفْتَ بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزةَ تتحوَّل هاء في بعض اللغات لقُرْبها منها، نحو قولهم في :(أم واللّه) : هم والله ، وكما قالوا في أراق هَرَاق (الماء)، و لوجَدْتَ الحاء في بعض الألسنة تتحول هاء . وإذا تباعدتْ مخارجُ الحروف حَسُنَ وجه التأليف .

قال : واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثةُ أحرف من جنسٍ واحد في كلمةٍ واحدة ؛ لصعوبة ذلك على ألسنتهم ؛ وأَصْعَبُها حروف الحَلْق، فأما حرفان فقد اجتمعا ؛ مثل أح(بلا فاصلة واجتمعا في مثل) أحد ،وأهل ، وعَهد، ونَخْعٍ ، غيرَ أنَّ من شأنهم إذا أرادوا هذا أن يبدءوا بالأقوى من الحرفين، ويُؤَخّروا الألْين ،

[٥٠] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ١٩٠–١٩١.

كما قالوا : وَرَل، ووَتد ، فبدءوا بالتاء مع الدَّال وبالراء مع اللام ؛ فـذُق التـاء والدال فإنك تجد التَّاء تنقطع بجَرْسٍ قويّ (وتجد الدال تنقطع بجرس لين ، وكذلك الراء تنقطع بجرس قوي) ، وكذلك اللام تنقطع بغُنّة ؛ ويدلّك على ذلك أيضًا أن اعْتياص اللام على الألسن أقلُّ من اعتياص الراء ، وذلك للين اللامّ ، فافهم.

قال الخليل :(و) لولا بُحَّة في الحاء لأَشْبَهَت العينَ ، فلذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة ، وكذلك الهاء ؛ ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكّل واحدة منهما معنى على حدَة ، نحو قولهم : حيَّهَل ، وقول الآخر : حيهاوه ، وحَيّهلاً ؛ فحيّ كلمة معناها : هَلُمَّ ، وهَلاً : حثيثاً ؛ (وفي الحديث : فحيّ هَلا بعُمَر) ، وقال الخليل : سمعنا كلمةً شَنْعَاء (الهعخع) فأنكَرْنا تأليفها (و) سُئل أعرابي عن نَاقَتَه فقال : تركتُها تَرْعَى الهُعْخع ، فسألنا الثّقات من علمائهم ، فأنكروا ذلك ، وقالوا : نعرف الخُعْخُع ؛ فهذا أقرب إلى التأليف([٥١])".

ثم ذكر رأي السبكي في التنافر ، فقال:" قالوا : التنافر يكون إما لتَبَاعُد الحروف جدّاً ، أو لتقاربها ، فإنها كالطَّفْرَة والمَشْي في القَيْد ، نقله الخفاجي في (سرّ الفصاحة) عن الخليل بن أحمد ، وتعقّبه بأن لنا ألفاظًا حروفُها متقاربة ، ولا تنافرَ فيها ، كلَفْظ الشَّجَر ، والجيش، والفم .وقد يوجد البُعْدُ ولا تنافر، كلفظ العلم والبعد ، ثم رأى الخفاجي أنه لا تنافر في البُعْد ، وإن أفرط ؛ بل زاد فجعل تَبَاعد مخارج الحروف شَرْطًا للفصاحة([٥٢])".

وهو بذلك يبين لنا أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت ثقيلة على اللسان، وإذا تباعدت كانت أخف ، ولعل هذه القضية قضية شائكة تحدث فيها كثير من العلماء ، ولم يستطيعوا ضبطها ضبطا محكما ، ولعل الرأي الراجح فيها ، أنه لا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة في الحروف سوى الذوق السليم والحس الصادق

---

[٥١] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ١٩١–١٩٢.
[٥٢] – المرجع السابق – جـ١– ١٩٣.

الناجمين عن النظر في كلام البلغاء ، وممارسة أساليبهم ، وليست معتمدة على قرب المخارج أو بعدها ، ولعل هذا ما أشار إليه السيوطي في نهاية كلامه الذي نقله عن بعض العلماء.

المحور الثامن: **رتب الفصاحة**:

ذكر رأي السبكي في رتب الفصاحة ، فقال:" قال في عروس الأفراح : رُتَبُ الفَصَاحة مُتَفَاوتة؛ فإن الكلمةُ تخفُّ وتَثْقُل بحَسَب الانتقال من حَرفٍ إلى حرف لاَ يُلاَئمه قُرْبًا أو بُعدًا ، فإن كانت الكلمةُ ثلاثيةً فتركيبها اثنا عشر :

الأول : الانحدارُ من المخرج الأعلى إلى الأوْسط إلى الأدنى، نحو (ع د ب)

الثاني: الانتقالُ من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط ، نحو (ع ر د) .

الثالث : من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى ، نحو (ع م ه) .

الرابع : من الأعلى إلى الأوْسط إلى الأعلى ، نحو (ع ل ن) .

الخامس :من الأدنى إلى الأوْسط إلى الأعلى ، نحو (ب د ع) .

السادس : من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط ، نحو (ب ع د) .

السابع : من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى ، نحو (ف ع م) .

الثامن : من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى ، نحو (ف د م) .

التاسع : من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى ، نحو (د ع م) .

العاشر : من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى ، نحو (د م ع) .

الحادي عشر:من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط ،نحو (ن ع ل) .

الثاني عشر :من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط ، نحو (ن م ل) .

إذا تقرّر هذا فاعلم أن أحسنَ هذه التراكيب وأكثرَها استعمالاً ما انحدر فيه من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى ، ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط .وأما ما انتقل فيه من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى، وما انْتُقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى فهما سيَّان في

الاستعمال، وإن كان القياس يقتضي أن يكون أرجَحَهما ما انتُقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى .وأقلُّ الجميع استعمالاً ما انتُقل فيه من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط . هذا إذا لم ترجع إلى ما انتقلتَ عنه ، فإن رجعت فإن كان الانتقالُ من الحرف الأول إلى الثاني في انحدارٍ من غير طَفْرة ، والطَّفْرة الانتقال من الأعلى إلى الأدنى أو عكسه ، كان التركيبُ أخفَّ وأكثر ، وإن فُقد بأن يكون النقلُ من الأول في ارتفاع من طَفْرة كان أثقل وأقلَّ استعمالاً.

وأحسنُ التراكيب ما تقدمت فيه نُقْلَة الانحدار من غير طَفْرة بأن ينتقل من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى ، أو من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط ، ودون هذين ما تقدمتْ فيه نقلةُ الارتفاع من غير طَفْرة . وأما الرّباعي والخماسي فعلى نحو ما سبق في الثلاثي ، ويخص ما فوق الثلاثي كثرةُ اشتماله على حروف الذلاَّقة لتَجْبُر خفَّتُها ما فيه من الثّقل ، وأكثرُ ما تقع الحروف الثقيلة فيما فوقَ الثلاثي مفصولاً بينها بحرفٍ خفيف ، وأكثرُ ما تقع أولاً وآخرًا وربما قُصد بها تشنيع الكلمة لذمٍّ أو غيره . انتهى([٥٣])".

ثم تعرض لرتب الفصاحة في موضع آخر ، وضرب لذلك بعض الأمثلة ، فقال : "رُتَبُ الفصيح متفاوتةٌ ؛ ففيها فصيحٌ وأفصح ، ونظيرُ ذلك في علوم الحديث تفاوت رُتَب الصحيح ، ففيها صحيحٌ وأَصَحّ . ومن أمثلة ذلك : قال في الجمهرة : البُرُّ أفصحُ من قولهم القَمْح والحنْطة .

وأنصبَه المرضُ أعْلى من نَصبَه . وغلب غَلَباً أفصح من غَلْبَاً .

والمُغوت أفصحُ من اللَّغْب.

وفي الغريب المصنّف : قَرّرت بالمكان أجود من قَررت.

---

[٥٣] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها –جـ١–ص ١٩٧.

وفي ديوان الأدب : الحبْر : العالم ، وهو بالكسر أفصح لأنه يجمع على أفْعـال ، والفَعل يجمع على فُعُول.

ويقال : هذا مَلْك يميني ، وهو أفصحُ من الكسر.

وفي أمالي القالي : الأَنملة والأُنملة لغتان : طرف الأصبع ، وأَنملة أفصح

وفي الصحاح : ضَرْبة لازب أفصحُ من لازم . وبُهت أفصحُ من بَهُتَ وبَهت .

وقال ابنُ خالويه في شرح الفصيح : قد أجمع الناس جميعًا أن اللغة إذا وَرَدت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن ، لا خلافَ في ذلك

فائدة . قال ابنُ خالويه في شرح الدريدية : فإن سأل سائل فقال : أوفى بعهده . أفصحُ اللغات وأكثرها ، فلمَ زعمت ذلك ؟ وإنما النّحْوي الذي ينقّـر عـن كـلام العرب ، ويحتجّ عنها ، ويّبين عمَا أَوْدَع اللّه تعالى من هذه اللغة الشريفة هـذا القبيل من النَاس وهم قريش ، فقل : لمَّا كان وفَى بعهده يجذبه أَصـلان : مِـنْ وفَى الشيء إذا كَثُرَ ، ووفَى بعَهْده ، اختاروا أَوْفَى إذا كان لا يشكل ، ولا يكونُ إلا للعَهْد([٥٤])".

فكونه ينقل هذا الكلام دليلا واضحا على بلاغته وفصاحته ، وإن لم يكن هذا الكلام من كلامه ، ويعد ذلك دليلا واضحا على وعيه التام بعلـوم البلاغـة وأصـولها وفروعها.

ثم ذكر رأي ابن السبكي في أن الحروف كلها ليس فيها تنـافر حـروف وكلهـا فصيحة ، فقال:" قال في عروس الأفراح : الحروف كلُّها ليس فيها تنافر حـروف وكلُّها فصيحة ([٥٥])".

المحور التاسع:**فصاحة الكلمة معتمدة على صيغتها وسياقها**:

---

[٥٤] – المرجع السابق جـ١– ص٢١٢.

[٥٥] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ١٩٨.

ثم ذكر بأن الكلمة قد تحسن وقد تقبح على حسب سياقها وعلى حسب صيغتها ووزنها وفعلها، أي الصيغة والوزن هما اللذان يحددان فصاحتها وبلاغتها فقال:"قال ابن النّفيس في كتاب الطريق إلى الفصاحة : قد تُنْقَلُ الكلمةُ من صيغَةٍ لأُخرى ، أو من وزْن إلى آخر ، أو من مُضيّ إلى استقبال وبالعكس ، فَتَحْسُن بعد أن كانت قبيحةً وبالعكس ، فمن ذلك خَوَّد . بمعنى أَسْرع قبيحة ، فإذا جُعلَتْ اسماً (خَوْداً) ، وهي المرأةُ الناعمةُ قلَّ قُبْحُها ،وكذلك دَعْ تقبُحِ بصيغة الماضي ؛ لأنه لا يُستَعْمَل ودَع إلاَّ قليلاً ، ويَحْسن فعلَ أمرٍ أو فعلاً مُضَارعًا. ولفظُ اللُّب بمعنى العقل يقبح مُفرداً ، ولا يقبح مجموعًا، كقوله تعالى: (لأُولِي الأَلْبَابِ(٥٦). قال : ولم يرد لفظُ اللّب مفرداً إلا مُضافاً ، كقوله – ﷺ- : (ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهبَ للُبّ الرجل الحازم من إحْداكُنَّ (٥٧) . أو مضافاً إليه كقول جرير :

يَصْرَعْن ذَا اللُّبّ حتى لا حَرَاكَ به

وكذلك الأرْجاء تحسن مجموعة كقوله تعالى: (وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا(٥٨)، ولا تحسنُ مفردةً إلاّ مضافةً، نحو رَجَا البئر، وكذلك الأصواف تحسن مجموعة ؛ كقوله تعالى: (وَمِنْ أَصْوَافِهَا(٥٩) ، ولا تحسن مفردة كقول أبي تمام :

فكأنما لَبسَ الزمانُ الصّوفا

ومما يحسن مفرداً ويقبح مجموعاً المصادرُ كلُّها ، وكذلك بُقْعَة وبقاع، وإنما يحسن جمعها مضافاً مثل بقَاع الأرض (٦٠)".

---

٥٦ – من الآية ١١١من سورة يوسف.

٥٧ – صححه الشيخ الألباني – وقال : انظر حديث رقم ٧٩٨٠ في صحيح الجامع الصغير وزيادته – للألباني– صفحة ١٣٩٤– المكتب الإسلامي – الطبعة الثالثة – ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م – وورد الحديث أيضا في كتاب أحكام القرآن – لابن العربي جـ١– ٥٣١– دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – من دون.

٥٨ – من الآية ١١٧من سورة الحاقة.

٥٩ – من الآية ٨٠ من سورة النحل.

وهذا كلام جيد وحسن من الإمام السيوطي ؛ لأن الكلمة تقبح وتحسن من خلال سياقها وعلى حسب صيغتها ووزنها ، ولعل هذا ما أقره وارتضاه شيخ البلاغيين –من قبل – ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، وهو بصدد حديثه عن الفصاحة ، حيث ذكر أن الكلمة لا تكون فصيحة إلا من خلال نظمها وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها([٦١]).

ثم عضد هذه الفكرة وذكر الأدلة عليها ، فقال:" فقد اتَّضح إذن اتّضاحًا لا يدعُ للشكّ مجالاً أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدةٌ ، ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ. وأن الفضيلةَ وخلافها في ملائمةِ معنى اللفظةِ لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريحِ اللفظ .

وممَّا يشهدُ لذلك أنك تَرى الكلمةَ تروقُك وتُؤنسك في موضعٍ ، ثم تَراها بعينِها تثقل عليكَ وتُوحشكَ في موضعٍ آخرَ، كلفظِ "الأَخدع" في بيتِ الحماسة – من – الطويل – :

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي ∴ وَجِعْتُ مِن الإِصْغَاءِ لِيْتاً وأَخْدعًا

وبيت البحتري – الطويل – :

وإِنِّي وإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الغِنى ∴ وأَعْتَقْتَ مِنْ رِقّ المَطَامِعِ أَخْدَعِي

فإنَّ لها في هذين المكانَين ما لا يخفى منَ الحُسن ، ثم إنّكَ تتأمَّلُها في بيتِ أَبي تمام – من المنسرح – :

يا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فقدْ ∴ أَضْجَجْتَ هذا الأَنامَ مِنْ خُرُقِكْ

فتجدُ لها منَ الثِقل على النفسِ ومن التَنْغيصِ والتكدير أضعافَ ما وجدتَ هناك منَ الرَّوْح والخفَّة ومن الإيناسِ والبهجة([٦٢]) ".

---

[٦٠] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ١٩٨–١٩٩.
[٦١] – ينظر: دلائل الإعجاز– ص ٤٤.
[٦٢] – ينظر: دلائل الإعجاز – ص ٤٦–٤٧.

المحور العاشر: شروط الفصاحة:

ذكر السيوطي نقلا عن ابن السبكي أن من شروط الفصاحة أن تكون متوسطة الحروف ، فقال: "قال في عروس الأفراح : الثلاثيُّ أحسنُ من الثُّنَائي والأحادي ، ومن الرباعي والخماسي ؛ فذكر حازم وغيرُه من شروط الفصاحة : أن تكونَ الكلمةُ متوسطةً بين قلَّة الحروف وكثرتها ، والمتوسطةُ ثلاثة أحرف ؛ فإن كانت الكلمةُ على حرف واحد مثل (ق) فعل أمْر في الوصل قَبُحَتْ ، وإن كانت على حرفين لم تقبح إلا أن يليَها مثلُها. وقال حازم أيضًا : المُفْرط في القصَر ما كان على مقطع مقصور ؛ والذي لم يُفْرط ما كان على سبب ، والمتوسط ما كان على وتد أو على سبب ومقطع مقصور ، أو على سببين ، والذي لم يُفْرط في الطول ما كان على وتد وسبب ، والمفْرط في الطول ما كان على وتدين أو على وتد وسببين . قال : ثم الطولُ تارة يكون بأصل الوَضْع ، وتارةً تكونُ الكلمةُ متوسطةً ، فتطيلها الصلة وغيرها كقول أبي الطَّيب :

خَلَت البلادُ من الغَزَالة ليلَها ∴ فأعاضَهَاكُ اللّهُ كي لا تحزنا

وقول أبي تمام :

ورفعت للمستنشدين لوائي

قال في عروس الأفراح : فإن قلْت : زيادةُ الحروف لزيادة المعنى ؛ كما في اخْشَوْشَنَ ، ومقتدر ، وكَبْكَبُوا ، فكيفَ جعلتم كثرةَ الحروف مُخلا بالفصاحة مع كثرة المعنى فيه؟ قلت : لا مانع من أن تكون إحدى الكلمتين أقلَّ معَنىً من الأخرى ، وهي أفصحُ منها ؛ إذ الأمور الثلاثة التي يشترط الخلوص عنها لا تعلّق لها بالمعنى([٦٣])".

[٦٣] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١–ص ١٩٩–٢٠٠.

ولكن لعل توسط الحروف الذي اشترطه بعض العلماء في فصاحة الكلمة ، ليس مقياسا مطردا في جميع الأحوال ، فقد نجد الكلمة كثيرة الحروف وهي في أتم فصاحتها وبلاغتها ؛ لأن هذه الكثرة جاءت ملائمة للسياق الذي وردت فيه الكلمة ، خذ مثلا ، كلمة " أنلزمكموها " ،التي وردت في قول الله تعالى:" أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٦٤) ،لأن هذه الكلمة صورت وجسدت ثقل الهداية على هؤلاء القوم الكافرين .

المحور الحادي عشر: من عيوب فصاحة الكلام التعقيد اللفظي:

تطرق السيوطي إلى بعض عيوب فصاحة الكلام – من طرف خفي – وهو بصدد حديثه عن طبقات الشعراء ، حيث قال:" قال أبو إسْحاق البَطْلَيَوْسي وقد أنشد قول الفرزدق :

وما مثلُه في الناس إلاّ مُمَلَّكًا ∴ أبُو أمّه حَيٌّ أبوه يُقَارِبُه

هذا وأمثاله وإن كان جائزًا في الإعراب ، فليس بحسَنٍ في الشعر عند ذوي الألباب ؛ لما فيه من وَهْى النَّسْج والاضطراب ، والشعر إذا أحوج إلى شرح لم يَعُدْ في فاخر المساق ، ولا قام في الإحسان على ساق ، ولا عَذُب في المذاق ، فهو مكروه عند الحُذَّاق .

ويحتاج الشعر إلى أن يَسْبق معناه لفظَه ، فتستلذّ النفوس روايَته وحفظَه ، وأول ما ينبغي للشاعر والمتكلم ، بيانُ ما يحاوله للعالم والمتعلم ، فإن تكلَّم بمقلوب ، مَجَّتْهُ الأسماع والقلوب ، ولم يتحصل منه الغرض المطلوب ، فإن قال قائل : أما ترى في أشعار العرب أمثال هذا قوله :

لها مُقْلَتَا أَدْماء طل خميلة ∴ من الوحش ما يَنْفَكّ يَرْعَى عَرَارها

---

٦٤ – من الآية ٢٨ من سورة هود .

قيل له : وهذا أيضًا قد أحالَ وهاذى ، والعجب ممن تكلف مثل هذا ، لِم لَمْ يخفف عن نفسه الكُلْفة والملام ؟ وتعرَّض لأن يُلام ، وتَرَكَ بَيِّن الكلام ! وإنما يتفاضل الكلام والشعر بحسن العبارة والدّيباجة ، ورَوْنق الفصاحة حتى تكونَ ألفاظهما كالزجاجة ، وإلاّ فالمعاني مُعَرَّضة لكل جيل من أهل التوحيد والشرك ، حتى للزَّنْج والتَّتر والتُّرْك ؛ لكنهم قصرت بهم ألسنتهم عن بلوغ ما رامُوه من أَرَب ، قد تَهيَّأ على ألسنة العرب . وأقلُّ ما يجب على المتكلم البيانُ لمخاطبه ، وإلاّ كان كَخَابط الليل وحَاطبه ، يخاطب العربي بالعجمية ، ويخاطب العجمي بالعربية، وصناعةُ الشعر أشد حصْرًا وأمد عصْرًا ، وذلك أن الشاعر إنما هو راغب أو راهب أو مُعاتب بين يدي ملك ، فإن حكى عن نفسه وإلاّ كان جديرًا بأن يَهْلك([٦٥])".

فكلامه السابق يوحي بأن البيتين اللذين تم ذكرهما في هذا السياق هما من قبيل التعقيد اللفظي ، وهو أحد عيوب فصاحة الكلام؛ لأن الكلام فيهما خفي الدلالة على المعنى المراد ، والألفاظ فيهما غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني ، حيث حدث تقديم وتأخير بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض ، وهذا مذموم ؛لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه.

المجاز العقلي:

تحدث الإمام السيوطي عن المجاز العقلي في محورين:

المحور الأول : **تعريفه** ، حيث قال عنه:"ومن سنن العرب إضافةُ الفعل إلى ما ليس فاعلًا في الحقيقة يقولون : أراد الحائطُ أن يقعَ : إذا مال ، وفلان يريد أن يموت : إذا كان مُحْتضرًا ([٦٦])".

---

[٦٥] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ٢– ص ٤٩٢–٤٩٣.

[٦٦] – المرجع السابق – جـ١ص ٣٣٢–٣٣٣.

هذا مضمون تعريف المجاز العقلي([٦٧]) ، ومثل له بعض الشواهد ، مثل قولهم: أراد الحائط أن يقع ،وفلان يريد أن يموت، حيث أسند الوقوع للحائط ، وأسند الموت للإنسان ، وهذا من قبيل المجاز العقلي ؛ لأن الحائط ليس هو الفاعل الحقيقي للوقوع ، وكذلك الإنسان ليس هو الفاعل الحقيقي للموت.

المحور الثاني : **علاقات المجاز العقلي**، وذكر منها:

علاقة المفعولية:

حيث قال : " وأن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعل ؛ نحو سرٌّ كاتم، أي مكتوم . وماء دافق ، أي مَدفوق . وعيشة راضية ، أي مرْضيّ بها . وحرَمًا آمنًا ، أي :مأمونًا فيه ([٦٨]).

فهذه الأمثلة كلها من قبيل علاقة المفعولية ، وهي أن يسند الفعل المبني للفاعل إلى المفعول به ؛ لأن العيشة مرضية وليست راضية ، لأن الذي يرضى هو صاحب العيشة ، وكذلك الحرم مأمون وليس آمنا ، فقد أسند الأمن إلى الحرم ، والحقيقة إسناده إلى أهل الحرم ، فهذا من قبيل المجاز العقلي ، وعلاقته المفعولية.

علاقة الفاعلية:

حيث قال:" وبالفاعل بلفظ المفعول، نحو: عيش مغبون،أي غابن ذكره([٦٩]).

---

[٦٧] – ينظر: مفتاح العلوم – للسكاكي – ص ٥٠٣– ت/ د/ عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان– الطبعة الأولى– ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م – والإيضاح للخطيب – ص ٣٤– والمطول – لسعد الدين التفتازاني –ص ٢٠– تعليق / أحمد عزو عناية– دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان– الطبعة الأولى– ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

[٦٨] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٣٥.

[٦٩] –المرجع السابق – جـ١– ص ٣٣٥.

هذا الشاهد من قبيل علاقة الفاعلية، حيث أسند الفعل المبني للمفعول إلى الفاعل، فالعيش لا يكون مغبونا ، وإنما هو غابن ، فاسم المفعول هنا بمعنى اسم الفاعل، وهو مجاز عقلي علاقته الفاعلية.

وتحدث عن علاقة الفاعلية في موضع آخر ، فقال:"والمفعول مقام الفاعل ، نحو : (حِجَابًا مَّسْتُورًا[٧٠] ، أي ساتراً [٧١].

فهذا الشاهد أيضا من قبيل علاقة الفاعلية ؛ لأن الحجاب ساتر وليس مستورا، فاسم المفعول هنا بمعنى اسم الفاعل.

علاقة الزمانية:

حيث قال : " ومن سنن العرب وصفُ الشيء بما يقعُ فيه ؛ نحو يوم عاصف ، وليل نائمٌ ، وليلٌ ساهر[٧٢].

فهذا من قبيل علاقة الزمانية ، وهي أن يسند الفعل إلى زمانه ، فقد أسند العصف إلى اليوم ، وأسند النوم إلى الليل ، وأسند السهر إلى الليل ، مع أن الليل لا ينام وإنما الرجل ينام فيه ، والليل لا يسهر وإنما الرجل يسهر فيه ، ولكنه أسند الحدث إلى الزمان لوقوعه فيه ، على سبيل المجاز العقلي لعلاقة الزمانية.

ثم قال : ومن سنن العرب التعويضُ ، وهو إقامةُ الكلمة مقامَ الكلمة ، كإقامة المصدر مقامَ الأمر ، نحو : "فَضَرْبَ الرِّقَابِ"[٧٣] [٧٤] " ،والفاعل مقامَ المصدر ، نحو (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ [٧٥]) تكذيب[٧٦] ، والمفعول مقامَ المصدر ، نحو (بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ[٧٧] ، أي الفتنة[٧٨].

---

[٧٠] – من الآية ٤٥من سورة الإسراء.
[٧١] –المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١–ص ٣٣٧.
[٧٢] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص –٣٣٦.
[٧٣] – من الآية ٤ من سورة محمد.
[٧٤] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٣٧.
[٧٥] – الآية ٢ من سورة الواقعة.
[٧٦] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٣٧.
[٧٧] – الآية ٦من سورة القلم.

ولكن لعل الإمام السيوطي كان يتكلم عن المجاز بوجه عام سواء المجاز العقلي أو المجاز المرسل أو الاستعارة ؛ لأن هذه الشواهد من قبيل المجاز المرسل وعلاقته التعلق الاشتقاقي ، وهو إقامة صيغة مقام أخرى، وهذه العلاقة أشار إليها الهاشمي في كتابه " جواهر البلاغة[٧٩]"، فالشاهد الأول " فَضَرْبَ الرِّقَابِ "، أقام المصدر مقام الأمر ، والشاهد الثاني " لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ "، أقام الفاعل مقام المصدر ، أي تكذيب ، والشاهد الثالث " بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ "، أقام المفعول مقام المصدر ، أي الفتنة.

خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

لقد ذكر الإمام السيوطي صورا متعددة من صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر الذى ذكره البلاغيون من أجل التفنن في كلامهم ، ويقصدون من وراء ذلك التلميح والتحسين ، أو يعتمدون على نكت خفية يقتضيها الحال ولا يتفطن لها السامع لو لم يُلْقَ إليه ما يخالف ظاهر الحال[٨٠].

الصورة الأولى :الالتفات:

تحدث الإمام السيوطي عن تعريف الالتفات ، وذكر له بعض الشواهد القرآنية أثناء حديثه عن سنن العرب ، حيث قال:"ومن سنن العرب أن تخاطب الشاهدَ ، ثم تحوّل الخطاب إلى الغائب ، أو تخاطب الغائبَ ، ثم تحوّله إلى الشاهد وهو الالْتفاتُ ، وأن تخاطبَ المخاطب ثم يرجع الخطاب لغيره ، نحو :

---

[٧٨]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١- ٣٣٧.

[٧٩] – ينظر: جواهر البلاغة – ص ٢٥٤-٢٥٥- ضبط د/ يوسف الصميلي – المكتبة العصرية- ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

[٨٠] – ينظر: كتاب موجز البلاغة- للطاهر بن عاشور- ص -٤٣- المطبعة التونسية – الطبعة الأولى – من دون .

(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ[٨١])، الخطاب للنبي ثم قال للكفار : (فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ[٨٢]) ،يدل على ذلك قوله : (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [٨٣]) ([٨٤])".

والالتفات هنا هو التفات في الخطاب من المفرد في قوله:" قل فأتوا "، إلى الجماعة بعده في قوله:" فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ "، ولم يقل: لك ، ولعل السر البلاغي المقصود من وراء هذا الالتفات هو التعظيم والتفخيم ، حيث يخاطب المفرد مخاطبة الجمع تعظيما وتفخيما له.

الصورة الثانية: التغليب:

تحدث الإمام السيوطي عن باب التغليب وهو بصدد حديثه عن سنن العرب، حيث قال:"قيل له : إنما قال ذلك – واللّه أعلم – لأنه جمع ما يَعْقل وما لا يعقل ؛ فغلب ما يعقل ، وهي سُنَّةٌ من سُنن العرب ؛ (أعني باب التغليب) وذلك كقوله تعالى : (واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ من مَاء فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشي عَلَى بَطْنه وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشي عَلَى رجْلَيْن ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشي عَلَى أَرْبع ([٨٥]) ،فقال : (منهم) تغليبًا لمن يَمْشي على رجْلين ، وهم بنو آدم([٨٦]) ".

وتحدث عن التغليب في موضع آخر من كتابه " المزهر"، وذلك أثناء حديثه عن سنن العرب أيضا ، حيث قال:" ومن سنن العرب أن تَنْسُب الفعل إلى اثنين وهو لأحدهما ، نحو : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ([٨٧]) إلى قوله : (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ([٨٨])، وإنما يخرَجان من الملْح لا العَذْب ، وإلى الجماعة وهو لأحدهم

---

[٨١] – من الآية ١٤من سورة هود .
[٨٢] – من الآية ١٤من سورة هود.
[٨٣] – من الآية ١٤من سورة هود.
[٨٤] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٣٤.
[٨٥] – من الآية ٤٥من سورة النور.
[٨٦] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١ ص ٩.
[٨٧] – من الآية ١٩من سورة الرحمن.
[٨٨] – الآية ٢٢من سورة الرحمن.

، نحو : (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا[٨٩]) ، والقاتل واحد . وإلى أحد الاثنين وهو لهما ، نحو : (وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ[٩٠])[٩١]".

فلفظ البحرين في قوله تعالى:"مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ"،المقصود به البحر والنهر، وإنما ذكر لفظ البحرين للدلالة عليهما معا من باب التغليب؛ لأن البحار ماؤها مالح وهي أعمق بكثير من الأنهار، والأنهار ماؤها عذب، وعمقها أقل بكثير من الأنهار.

وحقيقة التغليب في الآية الثانية " وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا "، هو أن القتل لم يصدر عن الجميع وإنما صدر عن واحد منهم ، فعبر القرآن بقوله:" قتلتم"، من باب التغليب، هذا ما قصده الإمام السيوطي.

ولكن لعل الراجح في الآية أنها من قبيل المجاز المرسل ، وعلاقته الكلية ، حيث أسند القتل إلى الكل – وهذا غير ممكن- ، وأراد الجزء ، أي إن القتل صدر عن بعضهم ، وليس كلهم ، وهذا ما ذكره الإمام الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي ، عند تعرضه لهذه الآية[٩٢].

وحقيقة التغليب في الآية الثالثة " وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ "،هو ذكر الله – سبحانه وتعالى- ثم عطف عليه ذكر رسوله- ﷺ-، ثم جاء الفعل " يرضي " على الضمير المفرد وهو الهاء في " يرضوه" من باب التغليب ، ولم يثن الفعل ، فيقول:" أن يرضوهما".ولعل السر البلاغي في هذا التغليب ، الدلالة على أن إرضاء الله هو عين إرضاء الرسول- ﷺ-.

ومن صور التغليب التي ذكرها الإمام السيوطي – وإن لم يصرح بذلك- : ذكر الواحد والمراد به الجمع ، حيث قال :" ومن سنن العرب ذكْرُ الواحد والمراد

---

[٨٩] – من الآية ٧٢من سورة البقرة.
[٩٠] – من الآية ٦٢ من سورة التوبة.
[٩١] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١- ص ٣٣٤.
[٩٢] – ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي – جـ٢- ص ١٨٣- دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان- من دون.

الجمع كقولهم للجماعة : ضَيْف وعَدُوّ ،قال تعالى : (هَؤُلَاءِ ضَيْفِي [٩٣]) ، وقال : (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا [٩٤]) [٩٥] .

ومن الصور : ذكر الجمع والمراد به الواحد ، حيث قال:" وذكرُ الجمع والمراد واحد ، أو اثنان قال تعالى : (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ[٩٦]) .والمراد واحد ، (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ[٩٧]) ، والمنادى واحد . (بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ [٩٨]) ، وهو واحد بدليل ارجع إليهم ، (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا[٩٩]) ، وهما قلبان [١٠٠].

ومن الجدير بالذكر أن علماء البلاغة اختلفوا في التغليب ، هل هو من المحسنات البديعية ، أم من علم المعاني ، فلعل من قال : أنه من المحسنات البديعية اعتمد على أن التغليب أمر لفظي لإعطاء أحد المصطلحين حكم الآخر ، ولذلك عده من علم البديع ، ومن قال بأن التغليب صورة من صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر عده من علم المعاني، ولعله قد يحمل على البديع وعلى المعاني ؛ لتنوع فنونه وتعدد أساليبه، ولكنه أقرب إلى المعاني.

الصورة الثالثة: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، أو التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل:

تحدث عن هذه الصورة في سياق حديثه عن سنن العرب حيث قال:"ومن سنن العرب أن تأتي بالفعل بلفْظ الماضي ، وهو حاضر أو مستقبل ، أو بلفظ

---

[٩٣] – من الآية ٦٨ من سورة الحجر.
[٩٤] – من الآية ٦٧ من سورة غافر .
[٩٥] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٣٣٣.
[٩٦] – من الآية ٦٦ من سورة التوبة .
[٩٧] – من الآية ٤ من سورة الحجرات .
[٩٨] – من الآية ٣٥ من سورة النمل .
[٩٩] – من الآية ٤ من سورة التحريم .
[١٠٠] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٣٣٣.

المستقبل وهو ماضٍ ، نحو قوله تعالى : (أَتَى أَمْرُ اللّهِ[١٠١])، أي يأتي ، (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ[١٠٢])، أي أنتم . (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ[١٠٣]) ، أي ما تَلَت[١٠٤]".

وبلاغة التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي في قوله تعالى:" أَتَى أَمْرُ اللّهِ "، التنبيه على تحقيق وقوعه ؛ لأن المستقبل مشكوك – من قبل بعض الناس– في حصوله ، فأراد القرآن أن يحققه فعبر عنه بلفظ الماضي ، وهذه صورة من صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، كما أن بلاغة التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل –، كما في قوله – تعالى– :" وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ "–،تكمن في استحضار الصورة على الذهن.

وهذا الاختلاف في الصيغ بين الأفعال فن من فنون البلاغة ، أشاد به بعض العلماء فقال: التعبير عن بعض المعاني بلفظ المستقبل وعن البعض الآخر بلفظ الماضي لا يخلو عن نكتة ولا يطلع على دقيقتها إلا الثقات ...والبالغ في أفانين سحر علم البلاغة غايتها قدر الطاقة البشرية ([١٠٥]).كما أشاد بهذا اللون أيضا صاحب الطراز([١٠٦]).

الإسناد:

تحدث عن الإسناد وذلك في صدد حديثه ، هل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية ، أو بإزاء الماهيات ، حيث قال:" – أن من لا يَعْرف من الكلام

---

[١٠١] – من الآية ١ من سورة النحل.
[١٠٢] – من الآية ١١٠ من سورة آل عمران.
[١٠٣] – من الآية ١٠٢ من سورة البقرة.
[١٠٤] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٣٥.
[١٠٥] – ينظر: حاشية ابن التمجيد ضمن حاشية القونري على تفسير الإمام البيضاوي – تأليف / إسماعيل بن محمد الحنفي– جـ٢– ص ١٧٩– ت/ عبدالله محمد محمد عمر – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – من دون .
[١٠٦] – ينظر: الطراز– للعلوي– جـ٢– ص ١٣٧– ت/ عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٢م.

العربيّ إلاّ لفظين مفردين صالحين لإسناد أحدهما إلى الآخر فإنه لا يَفْتَقر عند سماعهما مع الإسناد إلى مَعّرف بمعنى الإسناد ، بل يُدْركه ضرورة ([١٠٧])".

هذا مضمون تعريف الإسناد الذي عرفه بعض علماء البلاغة ، بقولهم: انضمام كلمة إلى أخرى على وجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتا أو نفيا([١٠٨]).

ثم زاد الأمر وضوحا في الإسناد ،وذكر طرفيه وهما المسند والمسند إليه ، فقال:" فإنَّ مَنْ عرف مسمَّى (زيد) وعرف مسمَّى (قائم) وسمع (زيد قائم) بإعرابه المخصوص فَهِمَ بالضرورة معنى هذا الكلام ، وهو نسْبَةُ القيام إلى زيد([١٠٩]) ".

وهو بذلك يريد أن يقول: أن لفظ " قائم "،مسند و" زيد "، مسند إليه ، والنسبة التي بينهما تسمى إسنادا.

حذف المسند :

تحدث عن حذف المسند أثناء حديثه عن سنن العرب ، حيث قال :" ومن سنن العرب الكفُّ ، وهو أن تكفَّ عن ذكر الخبر اكتفاءً بما يدلُّ عليه الكلامُ ، كقوله :

إذا قلتُ سيروا نحو ليلى لعلَّها ∴ جرى دونَ ليلى مائلُ القَرْن أعْضَبُ

ترك خَبَر لعلها([١١٠])".

حيث حذف المسند في هذا البيت لوجود قرينة تدل عليه ، والتقدير: لعلها قريبة.

التقديم :

تحدث الإمام السيوطي عن التقديم في محورين:

المحور الأول :

---

[١٠٧] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١–ص ٤٣.
[١٠٨] – ينظر: جواهر البلاغة – للهاشمي – ص ٤٩–٥٠.
[١٠٩] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٤٤.
[١١٠] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٣٨.

تحدث عنه في صدد حديثه عن خواص اللغة العربية ، حيث قال:" وقد قال بعض علمائنا –حين ذكر ما للعرب من....القَلْب والتقديم والتأخير([١١١])".

المحور الثاني :

تحدث عنه أثناء حديثه عن سنن العرب ، حيث قال:" ومن سنن العرب تقديمُ الكلام وهو في المعنى مؤخّر، وتأخيرهُ وهو في المعنى مقدّم ، كقوله :

ما بالُ عينيك منها الماءُ يَنْسَكب

أراد ما بالُ عينك ينسكبُ منها الماء ، وقوله تعالى : (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى([١١٢])، (فأجل معطوفة على (كلمة) ، والتأويل : ولولا كلمةٌ سبقت من ربّك ، وأجل مسمّى لكان العذابُ لازماً لهم([١١٣]).

ففي النص السابق تحدث السيوطي عن بعض صور التقديم ، وذكر لنا بوضوح مواطن التقديم والتأخير في الكلام ، ففي قول الشاعر قدم لفظ" الماء"، وهو في المعنى مؤخر ، وفي الآية الكريمة أخر لفظ" أجل "، وهو في المعنى مقدم .

الإيجاز:

تحدث الإمام السيوطي عن الإيجاز بنوعيه :

١- إيجاز القصر .

٢- إيجاز الحذف .

إيجاز القصر:

تحدث عن تعريف إيجاز القصر في سياق حديثه عن الاشتقاق في لغة العرب، حيث ذكر أن رسول الله- ﷺ-:" أُوتي جَوامعَ الكَلم ، وهي جمعُ المعاني

---

[١١١] – المرجع السابق – جـ١- ٣٢٢.

[١١٢] – الآية ١٢٩من سورة طه.

[١١٣] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ١- ص ٣٣٨.

الكثيرة في الألفاظ القليلة ، فمن ذلك قوله فيما صح عنه : يقولُ اللّـه : (أنا الرحمن خلقتُ الرُّحم وشققت لها من اسمي(١١٤) (١١٥)" .

ثم بدأ يترجم هذا التعريف ، ويستشهد ببعض الشواهد، وذلك أثناء حديثه عن خواص اللغة ، حيث قال:" وكذلك لا يقدرُ أحدٌ من التَّراجم على أن ينقلَه إلى شيء من الألْسنة ، كما نُقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوارة والزَّبور ، وسائر كتب اللّه عزّ وجلّ بالعربية ؛ لأنَّ غيرَ العرب لم تتسع في المجاز اتساعَ العرب ؛ ألا ترى أنك لو أردتَ أن تنقلَ قوله تعالى : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ (١١٦)) . لم تستطع أن تأتي لهذه بألفاظ مؤدّية عن المعنى الذي أودعَتْه حتى تبسط مجموعها ، وتصلَ مقطوعها ، وتُظهرَ مَسْتُورها ؛ فتقول : إن كان بينك وبين قوم هُدْنة وعَهْد ، فخفْت منهم خيانةً ونقضًا فأعْلمهم أنك قد نقضتَ ما شرطته لهم ، وآذنْهم بالحرب ، لتكونَ أنتَ وهم في العلم بالنَّقْض على الاستواء. وكذلك قوله تعالى : (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ(١١٧)(١١٨)".

ففي النص السابق دليل واضح على استخدامه لإيجاز القصر ، وهو أن تكون الألفاظ القليلة مشتملة على معان كثيرة ، كما ورد في الآيتين السابقتين.

ثم بدأ يستشهد على إيجاز القصر ببعض الأبيات الشعرية التي حملت كثيرًا من المعاني ، فقال:

---

١١٤ – أخرجه أبو داود في سننه برقم (١٦٩٤) – ت/ شعيب الأرناؤوط وآخرون – دار الرسالة العالمية– الطبعة الأولى – ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م ـ و الترمذي في سننه – جـ ١ / ٣٤٨ – ت/ أحمد شاكر– و محمد فؤاد عبدالباقي – وإبراهيم عطوة عوض – دار نشر مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثانية – ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .

١١٥ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٤٦.

١١٦ – من الآية ٥٨ من سورة الأنفال.

١١٧ – من الآية ١١من سورة الكهف.

١١٨ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ١– ص ٣٢٢–٣٢٣.

"وقد تأتي الشعراء بالكلام الذي لو أراد مريد نَقْلَه لاعْتاص ، وما أمكن إلا بمبسوط من القول وكثير من اللَّفظ ، ولو أراد أن يُعبّر عن قول امريء القيس :

فدع عنك نَهْبًا صيحَ في حَجَراته

بالعربية فَضْلًا عن غيرها لطالَ عليه .

وهو كثير بمثله طالت لغةُ العرب (دون) اللغات ، ولو أراد معّبرٌ بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخَفاق ، واليقين ، والشك ، والظاهر ، والباطن ، والحق ، والباطل ، والمُبين ، والمُشْكل ، والاعتزاز ، والاستسلام ، لعيَّ به ، واللّه تعالى أعلم حيث يجعل الفضل([١١٩])".

ومن خلال النص السابق يقرر السيوطي إن إيجاز القصر في لغة العرب كثير، وهو أكثر من أن يحصر، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

إيجاز الحذف :

تحدث عن إيجاز الحذف ، وذلك في سياق حديثه عن خصائص لغة العرب ، حيث قال:" ومنه الإدغام وتخفيفُ الكلمة بالحذف ، نحو : لم يَكُ ولم أُبَلْ([١٢٠])".

وهذه صورة من صور الحذف ، وهي أن يكون المحذوف حرفا ، وأصله لم يكن ، ولم أبلى.

وتحدث عن هذه الصورة أيضا في موطن آخر من كتابه " المزهر" ، وذلك أثناء حديثه عن سنن العرب ، حيث قال:" ومن سنن العرب القَبْضُ ، محاذاةً للبسْط ، وهو النُّقْصانُ من عدد الحروف ، كقوله :

غَرْثَى الوشاحَيْن صَموتُ الخَلْخَل

أي الخَلْخال .

---

[١١٩] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٣٢٣-٣٢٤.

[١٢٠] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٢٤.

ويقولون : دَرَس المَنا ، يريدون (المنازل) ، ونار الحُباحب .
ومنه بابُ الترْخيم في النداء وغيره ، ومنه قولهم : لاه ابن عمّك ، أي للّه ابنُ عمك ([١٢١])".

ثم تحدث عن صورة ثانية من صور الحذف، وهي حذف كلمة، وذلك أثناء حديثه عن سنن العرب ، حيث قال:" ومن سنن العرب الحذفُ والاختصار، يقولون : واللّه أفعلُ ذاك ، تريدُ لا أفعل .وأتانا عند مَغيب الشمس ، أو حين أرادت ، أو حين كادت تَغْرُب .قال ذو الرّمة :

فلما لَبسْن الليل أو حين نصَّبتْ ∴ له من خَذَا آذانها وهو جانحُ([١٢٢])"

وتحدث السيوطي أيضا عن إيجاز الحذف تحت مسمى الإضمار ، وذلك أثناء حديثه عن سنن العرب ، حيث قال:" ومن سنن العرب الإضمارُ ، إما للأسماء ، نحو ألا يا أسْلَمى أي يا هذه ، أو للأفعال نحو : أثعلبًا وتفرّ؟ : أي أترى ثعلبًا .
ومنه إضمار القول كثيرًا ، أو للحروف نحو :

ألا أيّهذا الزّاجري أشهدَ الوَغى

أي أن أشْهد ([١٢٣])".

وهو بذلك يكون قد ذكر ثلاث صور أخرى من صور الإيجاز بالحذف ، الصورة الأولى أن يكون المحذوف اسما، كما جاء في قوله: ألا يا أسلمى ، أي يا هذه ، الصورة الثانية أن يكون المحذوف فعلا ، نحو:أثعلبا وتفر، أي أترى ثعلبا وتفر ؟، الصورة الثالثة أن يكون المحذوف " أن" ، نحو: ألا أيهذا الزاجري أشهد الوغى ، أي أن أشهد . إذن السيوطي تحدث عن خمس صور من صور الإيجاز بالحذف.

الإطناب:

---

[١٢١] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٣٣٧.
[١٢٢] – المرجع السابق – جـ١–ص ٣٣١.
[١٢٣] – المرجع السابق – جـ١– ص٣٣٧.

تحدث الإمام السيوطي عن الإطناب في مواطن متفرقة في كتابه "المزهر"، وذكر ثلاث صور من صوره:

الصورة الأولى : التكرار

تحدث عنه أثناء حديثه عن سنن العرب ، حيث قال:" ومن سنن العرب : التكريرُ والإعادة ؛ إرداةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر ،قال الحارث بن عبّاد :

قَرّبا مَربط النَّعامة منّي ... لَقَحَتْ حربُ وائلٍ عن حيال

فكرّر قوله : (قرّبا مربط النعامة مني) في رؤوس أبياتٍ كثيرة ؛ عنايةً بالأمر، وإرادة الإبلاغ في التنبيه والتحذير([١٢٤])".

وهو بذلك يكون قد ذكر الصورة والنكتة البلاغية من ورائها.

الصورة الثانية : الاعتراض

وذلك أثناء حديثه عن سنن العرب ، حيث قال : ومن سنن العرب أن يَعْترض بين الكلام وتمامه (كلام) نحو : اعملْ – واللّه ناصري – ما شئت([١٢٥])".

الصورة الثالثة: الإيضاح بعد الإبهام

تحدث عن هذه الصورة في سياق حديثه عن أسباب الترادف حيث قال:" قال الإمام : قد يكونُ أحدُ المترادفين أجْلَى من الآخر،فيكون شرحًا للآخر الخفي([١٢٦])". فهذا هو مضمون تعريف الإيضاح بعد الإبهام ، وإن لم يصرح بذلك السيوطي.

التطويل :

ثم نرى الإمام السيوطي في موطن آخر من كتابه " المزهر"، يتعرض للتطويل– وإن لم يصرح بذلك–، وهو الزيادة بدون فائدة، ويكون اللفظ غير متعين ، مما يعطينا

---

[١٢٤] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٣٢.
[١٢٥] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٣٨.
[١٢٦] – المرجع السابق – جـ١– ص ٤٠٦.

دلالات واضحة وإشارات بينة على ثقافة الرجل العربية المتنوعة التي شملت معظم علوم اللغة ، ومما يدل على أن السيوطي على علم كبير بفنون البلاغة وأساليبها.

فقد تحدث عن التطويل أثناء حديثه عن المشترك في كلام العرب ، حيث قال:" وقال قطربٌ : إنما أوْقَعت العربُ اللَّفظتين على المعنى الواحد ؛ ليدلُّوا على اتِّساعهم في كلامهم ، كما زَاحفوا في أجزاء الشعر ؛ ليدلّوا على أن الكلامَ واسعٌ عندهم ، وأن مذاهبَه لا تضيقُ عليهم عند الخَطاب والإطالة والإطناب ([١٢٧])".

ثم زاد الأمر وضوحا وتحدث عن التطويل في موطن آخر من كتابه ، وذكر شاهدا له، وذلك أثناء حديثه عن المترادفات ، حيث قال:" وإنما يأتي الشاعرُ بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد ؛ تأكيدًا ومبالغةً ،كقوله :

وهند أتى من دونها النَّأْي والبعد

قالوا : فالنَّأْيُ هو البعد([١٢٨])".

هذا تطويل ؛ لأنه بلا فائدة خلافا للإطناب ، ولأن اللفظ غير متعين.

---

[١٢٧] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ١– ص ٤٠٠– ٤٠١.

[١٢٨] – المرجع السابق – جـ١– ص ٤٠٤.

المبحث الثاني

المسائل البلاغية للسيوطي في علم البيان

التشبيه:

تحدث الإمام السيوطي عن التشبيه حديثا مقتضبا في سياق كلامه عن المترادفات ، حيث قال: " وهذا أيضاً مما يَحْتَاجُ إليه البليغَ في بلاغته ، فيقال خطيبٌ مصْقَع ، وشاعر مُفْلق ، فَبحُسْن الألفاظ واختلافها على المعنى الواحد ترصع المعاني في القلوب ، وتَلْتَصق بالصدور، ويزيد حسنُه وحَلاوته وطَلاَوته بضَرْب الأمثلة به والتشبيهات المجازية ، وهذا ما يَسْتَعْمِلُه الشعراء والخطباء والمترسّلون ، ثم رأوا أنه يضيقُ نطاقُ النُّطق عن استعمال الحقيقة في كل اسمٍ فعدَلوا إلى المجاز والاستعارات ([١٢٩])".

يفهم- من أول وهلة – من خلال النص السابق أن السيوطي ينسب التشبيه إلى المجاز وذلك في قوله" والتشبيهات المجازية "،وهذا خلاف ما اتفق عليه علماء البلاغة قاطبة ،ولكن لعله يقصد بـ " التشبيهات المجازية "، الاستعارة خاصة ؛ لأنها قائمة على التشبيه .

كذلك نراه يورد لبسا آخر في النص ، وذلك بقوله:" فعدلوا إلي المجاز والاستعارات ، ويأتي بالواو التي تفيد الاختلاف ، وكأن الاستعارات ليست من المجاز، وإنما هي نوع آخر غير المجاز ، أو لعله يقصد المجاز المرسل خاصة .

الحقيقة والمجاز:

تحدث الإمام السيوطي عن الحقيقة والمجاز في مواضع متعددة :

---

[١٢٩] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١–ص ٣٧–٣٨.

الموضع الأول: **تعريف الحقيقة والمجاز**:

عرف السيوطي الحقيقة نقلا عن ابن فارس، فقال:" قال ابن فارس في فقه اللغة : الحقيقة من قَوْلنا : حقَّ الشيء إذا وَجَب . واشتقاقُه من الشيء المحقق ، وهو المحكم ، يقال : ثَوبٌ محقّقُ النَّسج : أي مُحْكَمُه .فالحقيقةُ : الكلامُ الموضوعُ موضعه الذي ليس باستعارة ، ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ، ولا تأخير ،كقول القائل : أحمد اللّه على نعَمه وإحسانه . وهذا أكثر الكلام وأكثَرُ آي القرآن وشعرُ العرب على هذا([١٣٠])".

ثم عرف المجاز بقوله:"وأما المجاز فمأخوذٌ من جازَ يجوز إذا استّنَّ ماضياً ،تقول جاز بنا فلان ، وجاز علينا فارسٌ ،هذا هو الأصل. ثم تقول : يجوز أن تفعل كذا : أي يَنْفُذ ولا يُردّ ولا يُمْنع . وتقول : عندنا دراهم وَضَح وازنة ، وأخرى تجوزُ جَواز الوازنة : أي إن هذه وإن لم تكن وازنة فهي تجوز مجازَها وجوازها لقُرْبها منها .

فهذا تأويلُ قولنا (مجاز) يعني أن الكلام الحقيقي يمضي لسَنَنه لا يُعترَض عليه ،وقد يكون غيره يجوزُ جوازَه لقُربه منه ، إلا أن فيه من تشبيه واستعارةٍ وكفٍّ ما ليس في الأول ، وذلك كقولنا : عطاء فلان مزْنٌ واكف . فهذا تشبيه ، وقد جاز مجاز قوله : عطاؤه كثيرٌ وافٍ ([١٣١])".

ثم ذكر تعريف ابن جني للحقيقة والمجاز، فقال:" وقال ابن جني في الخصائص : الحقيقية ما أُقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، والمجازُ : ما كان بضدّ ذلك([١٣٢])".

---

[١٣٠] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٥٥.
[١٣١] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٥٥.
[١٣٢] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٥٦.

الموضع الثاني: سبب العدول عن الحقيقة إلى المجاز:

تطرق لسبب العدول عن الحقيقة إلى المجاز ، فقال:" وإنما يقع المجازُ ويُعْدَل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة : وهي الاتساع ، والتوكيد ، والتشبيه، فإن عُدمت الثلاثة تعيَّنت الحقيقة ،فمن ذلك قوله – ﷺ– في الفرس : (هو بحر) فالمعاني الثَلاثة موجودة فيه :

أما الاتساع ، فلأنه زاد في أسماء الفرس – التي هي فرَس ، وطرْف ، وجَواد ونحوها – البحر ، حتى إنه إن احتيج إليه في شعر أو سجع أو اتّساع استعمل استعمال بقية تلك الأسماء ،لكن لا يفضي إلى ذلك إلا بقرينة تُسْقط الشبهة وذلك كأن يقول الشاعر :

عَلوت مطا جوادك يوم يوم ∴ وقد ثمد الجياد فكان بحرا

وكأن يقول الساجع : فرسك هذا إذا سما بغُرَّته كان فجرًا ،وإذا جرى إلى غايته كان بحرًا ،فإن عَري من دليل فلا ؛ لئلا يكون إلباسًا وإلغازًا .

وأما التشبيه ، فلأنّ جَرْيه يجري في الكثرة مَجْرى مائه .

وأما التوكيد ، فلأن شبّه العَرَض بالجوْهر وهو أثبت في النفوس منه(١٣٣)".

ثم ذكر بعض شواهد المجاز التي تعضد ما ذهب إليه ، فقال:

"وكذلك قوله تعالى: (وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا(١٣٤) ،هو مجاز ، وفيه المعاني الثلاثة :

أما السعة ، فلأنه كأنه زاد في اسم الجهات والمحالّ اسمًا هو الرّحمة .

وأما التشبيه ، فلأنه شبَّه الرحمة – وإن لم يصح دخولها – بما يجوزُ دخولهُ ،فلذلك وضعَها موضعه .

---

١٣٣ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٥٦.

١٣٤ – من الآية ٧٥من سورة الأنبياء.

وأما التوكيد ، فلأنه أخْبر عن المعنى بما يُخْبَر به عن الذات([١٣٥])" .

الموضع الثالث: **المجاز المرسل**:

علاقات المجاز المرسل:

ذكر الإمام السيوطي بعض علاقات المجاز المرسل ، ومنها :

علاقة الجزئية:

تحدث عن هذه العلاقة في سياق حديثه عن سنن العرب ، حيث قال نقلا عن ابن فارس :" ومن سنن العرب الاقتصارُ على ذكر بعض الشيء وهم يُريدونه كلَّه ، فيقولون : قَعد على صَدْر رَاحلته ومضى . ويقول قائلهم :

الواطئين على صُدُور نعالهم

ومن هذا الباب : (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ([١٣٦]). (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ([١٣٧]) ، أي إياه وتواضعت سورُ المدينة ([١٣٨])".

فكل هذه الشواهد التي ذكرها من علاقة الجزئية ، حيث عبر بالجزء وأراد الكل.

ثم تعرض في موضع آخر في كتابه " المزهر" ، لعلاقات المجاز المرسل في باب الحقيقة والمجاز ، تحت مسمى جهات المجاز ، وخلط بينها وبين علاقات المجاز العقلي ،فقال نقلا عن الإمام فخر الدين :" جهاتُ المجاز يحضرُنا منها اثنا عشَر وجهًا :

أحدها : التجوُّز بلفظ السبب عن المسبّب ، ثم الأسباب أربعة : القابل كقولهم : سال الوادي ([١٣٩]).

---

[١٣٥] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١ – ص ٣٥٦.
[١٣٦] – من الآية ٢٧من سورة الرحمن.
[١٣٧] – من الآية ٢٨من سورة آل عمران.
[١٣٨] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٣٤٢.
[١٣٩] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ١– ص ٣٥٩.

و هذا الشاهد من قبيل المجاز العقلي لعلاقة المكانية ؛ لأنه أسند السيل إلى الوادي ، والوادي لا يسيل وإنما يسال فيه.

السببية:

وهي التي عبر عنها بقوله :"والصورى كقولهم لليد : إنها قدرة([١٤٠]).

هذا الشاهد من قبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية ؛ لأن اليد سبب في القدرة.

وتعرض لعلاقة السببية في موضع آخر ، فقال :"الرابع – المضادّة ،كالسّيئة للجزاء ([١٤١])".

حيث عبر عن الجزاء بالسيئة ؛ لأن السيئة سبب في الجزاء.

اعتبار ما كان:

وفي ذلك يقول :"والفاعل كقولهم : نزل السحاب أي المطر الغائي ([١٤٢]).

فالتعبير بقوله:" نزل السحاب "، مجاز مرسل ، علاقته اعتبار ما كان ؛ لأن الذي سينزل هو المطر وليس السحاب ، وإنما سمي سحابا على اعتبار ما كان.

علاقة المسببية:

وهي التي عبر عنها بقوله:"الثاني – بلفظ المسبب عن السبب، كتسميتهم المرض الشديد بالموت ([١٤٣]).

فالعلاقة في هذا الشاهد المسببية ؛ لأن الموت مسبب عن المرض الشديد.

علاقة المشابهة:

وفي ذلك يقول :"الثالث – المشابهة ، كالأسد للشجاع([١٤٤])".

---

[١٤٠] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٥٩.
[١٤١] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٥٩.
[١٤٢] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٥٩.
[١٤٣] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٥٩.
[١٤٤] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٣٥٩.

ولكن لعل هذا الشاهد من قبيل الاستعارة ، وليس من المجاز المرسل ؛ لأن علاقة المشابهة استعارة وليست مجازا مرسلا ، أما المجاز المرسل فعلاقته غير المشابهة.

علاقتا الكلية والجزئية:

وعبر عنهما بقوله :" الخامس والسادس – اسم الكلّ للجزء ،كالعام للخاص ، واسم الجزء للكلّ ، كالأسود للزّنجي ([١٤٥])".

هذا هو مفهوم علاقة الكلية حيث يعبر بالكل ويراد الجزء ، ومفهوم علاقة الجزئية حيث يعبر بالجزء ويراد الكل.

علاقة التعلق الاشتقاقي:

وهي ما عبر عنها بقوله :"الثامن – المشتق بعد زوال المصدر([١٤٦])".

وهذه العلاقة هي التي عبر بعض البلاغيين المحدثين – عندما كان يتحدث عن علاقات المجاز المرسل– بقوله:" والتعلق الاشتقاقي ، هو إقامة صيغة مقام أخرى([١٤٧])".

علاقة المجاورة:

عبر عن هذه العلاقة بقوله :"التاسع – المجاورة ، كالرَّاوية للقرْبة([١٤٨])".ومفهوم هذه العلاقة أن الشيء مجاور لشيء آخر كما تحقق في هذا الشاهد.

---

[١٤٥] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٦٠.

[١٤٦] – المرجع السابق جـ١– ص ٣٦٠.

[١٤٧] – جواهر البلاغة – ص ٢٥٤– والخلاصة في علوم البلاغة – إعداد : علي بن نايف الشحود – ص ٤١.

[١٤٨] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٦٠.

المجاز بالحذف والزيادة :

تناول السيوطي هذا الموضع بقوله في الوجه :"الحادي عشر – الزيادة والنقصان ، كقوله : وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ(١٤٩)(١٥٠)".

وقوله في موطن آخر : ومن سنن العرب الزيادة ، إما للأسماء ، أو الأفعال ، أو الحروف ، نحو (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ(١٥١) (١٥٢) .

وهذا النوع من المجاز تحدث عنه – من قبل –، الخطيب القزويني، وقال عنه : "واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز؛ لنقلها عن معناها الأصلي كما مضى، توصف به أيضا لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره لحذف لفظ، أو زيادة لفظ(١٥٣)".

ومن قبلهما تناوله الإمام عبد القاهر الجرجاني ، فقال :" واعلم أن الكلمة كما بالمجاز ، لنقلك لها عن معناها ، كما مضى ، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها ، إلى حكم ليس هو بحقيقة(١٥٤)".

فالسيوطي يقصد بالزيادة والنقصان في هاتين الآيتين السابقتين ، أن المجاز يطلق أيضا على كلمة تغير حكم إعرابها بحذف لفظ ، كما في قوله :" وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ "، بالنصب على المفعولية ، والأصل :واسأل أهل القرية ، بالجر على الإضافة ، حيث حذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه، فارتفع ارتفاعه، وبذلك يكون تغير الإعراب نتيجة للحذف.

---

١٤٩ – من الآية ٨٢ من سورة يوسف.
١٥٠ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٦٠.
١٥١ – من الآية ١١ من سورة الشورى.
١٥٢ – ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٣١.
١٥٣ – الإيضاح – ص ٣٤٣.
١٥٤ – أسرار البلاغة– ص ٤١٦– ت/ محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة – الطبعة الأولى– ١٤١٢هـ– ١٩٩١م .

وفي قوله :" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ "،جرت لفظ " مثل "، بالكاف ، والأصل : ليس مثله شيء ، بنصب مثل ، على أنها خبر ليس فقد تغير الحكم الإعرابي بزيادة الكاف.

وإطلاق المجاز على الكلمة ، التي تغير إعرابها ، لحذف أو زيادة ، إما أن يكون على سبيل الاشتراك اللفظي ، بناء على أن لفظ مجاز وضع وضعين:

أحدهما : الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة .

ثانيهما : الكلمة التي تغير حكم إعرابها الأصلي بحذف لفظ ، أو زيادة.

أو يكون على سبيل التشابه بأن شبهت الكلمة المنقولة عن إعرابها الأصلي بالكلمة المنقولة عن معناها الأصلي ، بجامع الانتقال عن الأصل في كل، واستعير اسم المشبه به ، وهو لفظ مجاز للمشبه.

فاستعمال لفظ المجاز في هذين النوعين ، على طريق الاستعارة، وإن كان بعضها يمكن رده إلى المجاز المرسل ، أو الكناية ، وكما يقولون : العلل البلاغية لا تتزاحم([١٥٥]).

العلة من اشتمال القرآن على هذه السنن بما فيها المجاز المرسل:

قال : وقد جاء القرآن بجميع هذه السنن ؛ لتكون حجة اللّه عليهم آكد ، ولئلا يقولوا : إنما عجزنا عن الإتيان بمثله لأنه بغير لُغَتنا ، وبغير السنن التي نستنّها فأنزله جلَّ ثناؤه بالحروف التي يعرفونها ، وبالسنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ؛ ليكون عجزُهم عن الإتيان بمثله أظْهر وأشعر، انتهى([١٥٦])".

---

[١٥٥] – ينظر: أسرار البلاغة – ص ٤١٦– ٤١٨– و الإيضاح – ص ٣٤٣، ٣٤٤– و نظرات في البيان– للأستاذ الدكتور: محمد عبدالرحمن الكردي – ص ١٥٦،١٥٧–١٣٩٧هـ–١٩٧٦م.

[١٥٦] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٤٢.

الموضع الرابع: الاستعارة:

تطرق السيوطي للاستعارة أثناء حديثه عن الفصاحة ، حيث قال:" ومنه استعير فصح الرجل : جادت لغته([١٥٧])".

ثم صرح بأنها فرع من فروع المجاز وذكر بعض الشواهد ، فقال :"وجميعُ أنواع الاستعارات داخلةٌ تحت المجاز كقوله :

غَمْر الرّداء إذا تَبَسَّم ضاحكًا ∴ غَلِقَت لضَحْكَته رقَابُ المال

وقوله :

ووجه كأنَّ الشمس حَلَّت رِدَاءها ∴ عليه نقي الخدّ لم يَتَخَدّد

جعل للشمس رداءً ، استعارة للنور ؛ لأنه أبلغ .

وكذلك قولك : (بنيتُ لك في قلبي بيتًا)، مجاز استعارة لما فيه من الاتّساع ، والتوكيد ، والتشبيه ، بخلاف قولك : (بنيت دارًا) ؛ فإنه حقيقة لا مجازَ فيه ولا استعارة وإنما المجاز في الفعل الواصل إليه([١٥٨])".

ثم ذكر أن الاستعارة والتمثيل من خواص العرب ، فقال:" وقد قال بعض علمائنا – حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل([١٥٩])".

ولكن إذا كان الإمام السيوطي يقصد من كلامه هذا – الذي نقله عن بعض العلماء– ، أن الاستعارة والتمثيل من سنن كلام العرب ، فهذا مما لا شك فيه ، أما إذا كان يقصد أن الاستعارة والتمثيل من خواص لغة العرب ، فلعل هذا مردود عليه ؛ لأن الاستعارات

---

[١٥٧] – المرجع السابق – جـ١– ص ١٨٤.

[١٥٨] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٥٧.

[١٥٩] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٢٢.

والأمثال موجودتان في أغلب اللغات ، وهذه قضية لا تسعها هذه الصفحات ، ولكن لها مكان آخر([١٦٠]) .

وفي موضع آخر صرح بأن الاستعارة من سنن العرب ، وذكر بعض الشواهد نقلا عن ابن فارس فقال:" ومن سنن العرب : الاستعارة وهي أن يَضَعوا الكلمة للشيء مُسْتعارةً من موضع آخر ،فيقولون : انشقَّتْ عَصَاهم إذا تفرَّقُوا ، وكشَفَتْ عن ساقها الحربُ ، ويقولون للبليد : هو حمَار([١٦١])".

وهذه الشواهد التي ذكرها الإمام السيوطي نقلا عن ابن فارس ولم يعلق عليها هي من قبيل الكناية وليست الاستعارة ؛ لأن قولهم :انشقت عصاهم ، كناية عن الفرقة والخلاف بينهم ، وقولهم : كشفت عن ساقها الحرب ، كناية عن الشدة والهول ، وقولهم: للبليد حمار ، كناية عن الغباء .

ثم قال في موضع آخر : ومن سُنَن العرب أن تُعيرَ الشيءَ ما ليس له ، فتقول : مرَّ بين سَمْع الأرض وبَصَرها ([١٦٢]).

وهذا الشاهد من قبيل الاستعارة المكنية ، حيث شبه الأرض بإنسان ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو السمع والبصر.

ثم تعرض للاستعارة أيضا أثناء حديثه عن المجاز، فبعد الانتهاء من تعريف المجاز ، قال:" ومن هذا قوله تعالى : (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ([١٦٣]) ، فهذا استعارة([١٦٤]).

---

[١٦٠] – ينظر: دراسة بعنوان " ترجمة الاستعارة في النص الأدبي من الفرنسية إلى العربية " – إعداد : لعداوى نسيمة الجزائرية – ٢٠١٠م – جامعة مولود معمري – كلية الآداب والعلوم الإنسانية .

[١٦١] – المرجع السابق – جـ١– ٣٣١.

[١٦٢] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٣٨.

[١٦٣] – الآية ١٦من سورة القلم .

[١٦٤] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٥٥-٣٥٦.

ثم سار خلف ابن فارس الذي جعل الحذف والزيادات والتقديم من باب المجاز ، ولم يعلق على ذلك،- فلا أدري كيف فات على الإمام السيوطي مثل هذه الأشياء ؟ - لأن هذه الأبواب لا تدخل في المجاز بأي حال من الأحوال ، فقال:" قال : ومن المجاز في اللغة أبوابُ الحذف ، والزيادات ، والتقديم ، والتأخير ، والحَمْل على المعنى ، والتحريف : نحو : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ[١٦٥]) ، الاتّساع فيه أنه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله ، والتشبيه أنها شُبِّهت بمن يصحّ سؤاله لمّا كان بها ، والتوكيد أنه في ظاهر اللفظ أحالَ بالسؤال على مَنْ ليس من عادته الإجابةَ ،فكأنهم ضمنوا لأبيهم أنه إن سأل الجمادات والجمَال أَنبأتْهُ بصحة قولهم ،وهذا تناهٍ في تصحيح الخبر[١٦٦]".

الموضع الخامس: أكثر اللغة حقيقة أم مجاز؟

تعرض السيوطي لهذه المسألة ، ففي بداية كلامه الذي نقله عن ابن فارس عن الحقيقة ، قال:" وهذا أكثر الكلام وأكثر آي القرآن وشعر العرب على هذا[١٦٧]".

فهذا كلام صريح منه بأن الحقيقة هي أكثر الكلام وأكثر آي القرآن وشعر العرب.

وعندما تعرض للمجاز نقل كلام ابن جني المخالف لابن فارس ، فقال:" واعلم أن أكثر اللغة مع تأمّله مجاز لا حقيقة [١٦٨]".

ثم بدأ السيوطي يسرد الأدلة التي ذكرها ابن جني ، - والتي تعضد ما ذهب إليه - ، فقال:"ألا ترى أن نحو (قام زيد) معناه كان من القيام ، أي هذا الجنس من

---

١٦٥ - من الآية ٨٢من سورة يوسف.
١٦٦ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها - جـ١- ص ٣٥٧.
١٦٧ - المرجع السابق - جـ١- ص ٣٥٥.
١٦٨ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها - جـ١- ٣٥٧.

الفعل ، ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام ، وكيف يكون ذلك وهو جنسٌ ، والجنسُ يُطْلَق على جميع الماضي وجميع الحاضر وجميع الآتي من الكائنات من كلّ مَنْ وُجدَ منه القيام ؟ ومعلوم أنه لا يجتمعُ لإنسان واحد في وقت واحد ، ولا في أوقات القيامُ كلُّه الداخل تحت الوهم . هذا محال ،فحينئذ (قام زيد) ، مجاز لا حقيقة على وضع الكلّ موضع البعض للاتساع ، والمبالغة ، وتشبيه القليل بالكثير، ويدلُّ على انتظام ذلك لجميع جنسه أنك تقولُه في جميع أجزاء ذلك الفعل، فتقول : قمتُ قومة ، وقومتين ، وقيامًا حَسنًا ، وقيامًا قبيحًا ،فإعمالُك إياه في جميع أجزائه يدل على أنه موضوعٌ عندهم على صَلاَحه لتناول جميعها، وكذلك التأكيد في قوله : لعمري لقد أَحْبَبْتُك الحبّ كلّه .وقوله :

يَظُنّان كلَّ الظَّنّ أنْ لا تَلاَقيَا

يدلان على ذلك .

قال لي أبو علي : قولنا : (قام زيد) بمنزلة قولنا : (خرجتُ فإذا الأسد) .

ومعناه أن قولهم : (خرجت فإذا الأسد) ، تعريفه هنا تعريف الجنس ،كقولك : (الأسد أشدُّ من الذئب) . وأنت لا تُريد أنك خرجتَ وجميعُ الأسْد التي يتناولها الوَهْم على الباب . هذا محال ، وإنما أردتَ : فإذا واحد من هذا الجنس بالباب ، فوضعت لفظ الجماعة على الواحد مجازًا؛ لما فيه من الاتّساع والتوكيد والتشبيه:

أما الاتّساع ، فلأنك وضعتً اللفظ المعتادَ للجماعة على الواحد .

وأما التوكيد، فلأنك نَظَمْت قدرَ ذلك الواحد، بأن جئتَ بلفظه على اللفظ المعتاد للجماعة .

وأما التشبيه ، فلأنك شبَّهتَ الواحد بالجماعة ، لأن كلَّ واحد منها مثلُه في كونه أسدًا ،وإذا كان كذلك فمثلُه : (قعد زيد ، وانطلق)، (وجاء الليل) و (انصرم النهار) .

وكذلك ضربت زيدًا ، مجاز أيضًا من جهة أخرى ، سوى التجوّز في الفعل ؛وذلك لأن المضروب بعضّه لا جميعُه ، وحقيقة الفعل ضرب جميعه ، ولهذا يؤتى عند الاستظهار ببدل البعض نحو ضربت زيدًا رأسَه .

وفي البدل أيضًا تجوُّز ؛ لأنه قد يكون المضروب بعضَ رأسه لا كلَّ الرأس.

قال : ووقوع التوكيد في هذه اللغة أقوى دليل على شيوع المجاز فيها ، انتهى كلامُ ابن جني – ملخصا([١٦٩])".

ولم يتدخل السيوطي فيما نقل عن الاثنين ولم يعقب عليهما بأي كلام ، وكأنه يتبنى الرأيين ، ، فكنا نريد منه بعلمه الغزير وثقافته الواسعة ، أن يتوقف عند الرأيين مناقشا ومرجحا ومؤيدا ما يراه صوابا ، إلا أنه لم يفعل واكتفى بالنقل فقط ، ولذلك ينسب إليه الرأيان.

الموضع السادس : الفرق بين الحقيقة والمجاز

ثم بدأ يسرد الفروق بين الحقيقة والمجاز ، فقال نقلا عن الإمام فخر الدين :" المجازُ خلافُ الأصل ؛لأنه يتوقَّف على الوَضْع الأول ، والمناسبة ، والنقل ،وهي أمورٌ ثلاثة .والحقيقة على الوَضْع وهو أحدُ الثلاثة ، فكان أكثر ،ولأن المجاز لو ساوى الحقيقة لكانت النصوص كُلُّها مجملة ، بل المخاطبات . فكان لا يحصلُ الفهمُ إلا بعد الاستفهام.وليس كذلك ؛ ولأن لكل مجاز حقيقةَ ولا عكس ، يدلُّ عليه أن المجاز هو المنقول إلى معنى ثان لمناسبة شاملة ، والثاني له أول ، وذلك الأوّل لا يجب فيه المناسبة ([١٧٠])".

ثم تابع حديثه عن الفروق فقال نقلا عن القاضي عبد الوهاب في كتاب الملخص : اعلم أنّ الفرق بين الحقيقة والمجاز لا يُعْلم من جهة العقل ولا السمع ، ولا يُعلم إلا بالرجوع إلى أهل اللغة ،والدليل على ذلك أن العقلَ متقدّم على وَضْع اللغة ،

---

[١٦٩] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١- ص ٣٥٧-٣٥٩.

[١٧٠] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١- ص ٣٦٢.

فإذا لم يكن فيه دليل على أنهم وضعوا الاسم لمسمًّى مخصوص امتنع أن يُعْلم به أنهم نقلوه إلى غيره ؛ لأن ذلك فرعُ العلم بوضعه ، وكذلك السمع إنما يَـرد بعـد تقرّر اللغة ، وحصول المواظبة ، وتمهيد التخاطـب ، واسـتمرار الاسـتعمال ، وإقرار بعض الأسماء فيما وُضع له ، واستعمال بعضها في غير ما وَضع لـه ، فيمتنع لذلك أن يُقال إنه يعلم به أن استعمال أهل اللغة لبعض الكلام هو في غير ما وُضع له لامتناع أن يُعلم الشيء بما يتأخر عنه .

قال : فمن وجوه الفرق بين الحقيقة والمجاز أن يُوقفنا أهلُ اللغة على أنه مجـاز ومستعمل في غير ما وَضع له كما وَقَفونا في استعمال أسد ، وشجاع ، وحمار ، في القويّ والبليد ،وهذا من أقوى الطرق في ذلك .

ومنها : أنْ تكون الكلمةُ تصرَّف بتثنية وجمع واشتقاق وتعلَّق بمعلوم ، ثم تجدها مستعملةً في موضع لا يثبت ذلك فيه ، فيُعْلم بذلك أنها مجاز ، مثل لفظة أمْـر ، فإنها حقيقةٌ في القول لتصرفها بالتثنية والجمع والاشتقاق ،تقول : هذان أمران ، وهذه أوامر اللّه ، وأوامر رسوله ، وأمَر يأمر أمرًا ، فهو آمر .

ويكون لها تعلّق بآمر ، ومَأْمور به ، ثم تجدها مستعملةً في الحال ، والأفعـال ، والشأن ، عاريةً من هذه الأحكام ،فيُعْلم أنها فيها مجاز مثلٌ : (وَمَا أَمْرُ فِرْعَـوْنَ بِرَشِيدٍ [١٧١])، يريدُ جملة أفعاله وشأنه.

ومنها : أن تطَّرد الكلمةُ في موضع ولا تطَّرد في موضع آخر من غيـر مـانع ، فيستدلّ بذلك على كونها مجازًا ،وذلك لأن الحقيقة إذا وُضعت لإفادة شيء وجـب اطرّادها ، وإلا كان ذلك ناقضًا للغة ، فصار امتناع الاطّراد مع إمكانـه دالاً علـى انتقال الحقيقة إلى المجاز ، وذلك كتسمية الجدّ أبا فإنه لا يطّرد، وكذا تَسْمية ابن الابن ابنًا .

---

[١٧١] – من الآية ٩٧ من سورة هود .

قال : ومنها ما ذكره القاضي أبو بكر من أن تقوية الكلام بالتأكيد من علامات الحقيقة دون المجاز ؛لأن أهل اللغة لا يقوّون المجاز بالتأكيد ، فلا يقولون أراد الجدارُ إرادة ، ولا قالت الشمس قولاً ، كطلعت طلوعًا، وكذلك ورد الكلام في الشّرع لأنه على طريق اللغة . قال تعالى : (وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٧٢) ، فتأكيده بالمصدر يفيد الحقيقةَ ، وأنه أسمعه كلامه ، وكلّمه بنفسه ، لا كلامًا قام بغيره ،انتهى ما ذكره القاضي عبد الوهاب (١٧٣)".

ويواصل السيوطي حديثه عن الفروق ، فيقول :" وقال الإمام(١٧٤) وأتباعه : الفرقُ بين الحقيقة والمجاز إما أن يقعَ بالتنصيص أو بالاستدلال .أمَّا التَّنصيصُ فمن وجهين : أحدهما – أن يقول الواضعُ : هذا حقيقةٌ وذاك مجاز ، أو يقول ذلك أئمةُ اللغة .

قال الصفي الهندي : لأن الظاهرَ أنهم لم يقولوا ذلك إلا عن ثقة.

والثاني – أن يقول الواضعُ هذا حقيقة ، أو هذا مجاز، فيثبت بهذا أحدهما ، وهو ما نصّ عليه .

وأما الاستدلال فبالعلامات ، فمن علامات الحقيقة تبادرُ الذّهن إلى فَهم المعنى ، والعَراء عن القرينة ،أي إذا سمعنا أهل اللغة يعبّرون عن معنى واحد بعبارتين ، ويستعلمون إحداهما بقرينة دون الأخرى ،فنعرفُ أن اللفظَ حقيقةٌ في المستعملة بدون القرينة ؛ لأنه لولا استقرار أنفسهم على تعيّن ذلك اللفظ لذلك المعنى بالوَضْع لم يقتصروا عادة .

ومنْ علامات المجاز: إطلاقُ اللفظ على ما يستحيل تَعَلُّقه به ، واستعمال اللفظ في المعنى المنسي ، كاستعمال لفظ الدابَّة في الحمار ، فإنه موضوع في اللغة لكل ما يدبّ على الأرض .

---

١٧٢ – من الآية ١٦٤ من سورة النساء .

١٧٣ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٦٢–٣٦٣.

١٧٤ – المقصود بـ" الإمام " هنا فخر الدين الذي ذكره في بداية كلامه .

ثم ذكر القاضي أبو بكر فروقاً بين الحقيقة والمجاز ،فمن ذلك أن الحقيقة يُقاسُ عليها ، والمجازُ لا يقاسُ عليه ، فإنَّ من وجد منه الضَّرب ،يقال : ضرب يضرب فهو ضارب، فيُطْلَق هذا الاسم على كل ضارب ، إذ هو حقيقةٌ فيُطْلَق ذلك على من كان في زَمَن واضع اللغة ، وعلى مَنْ يأتي بعدَه ، ولا يُقال : اسأل البساط ، واسأل الحصير ، واسأل الثوب بمعنى صَاحبه قياسًا على (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ (١٧٥) .

الثاني – إنّ الحقيقة يشتق منها النعوت ، يقال أمر يأمر فهو آمر ،والمجاز لا يشتق منه النعوت والتفريعات.

الثالث إن الحقيقة والمجاز يفترقان في الجمع ، فإن جمع (أمْر) الذي هو ضدّ للنهي ، أوَامر ، وجمع الأمر الذي هو بمعنى القَصْد والشأن أمور(١٧٦)".

الموضع السابع: لغة العرب مشتملة على الحقيقة والمجاز:

ذكر في هذا الموضع أن لغة العرب مشتملة على الحقيقة والمجاز ، وردَّ على من أنكر المجاز في لغة العرب ، وذكر أمثلة تدلل على ذلك ، فقال نقلا عن ابن برهان في كتابه في الأصول :" اللغة مشتملة على الحقيقة والمجاز، وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني : لا مجازَ في لغة العرب . وعُمْدَتنا في ذلك النقلُ المتواتر عن العرب ؛ لأنهم يقولون : استوى فلان على مَتْنْ الطريق ، ولا مَتْنَ لها ، وفلان على جناح السفر ولا جناح للسفر ، وشابَتْ لمَّةُ الليل ، وقامت الحَرْبُ على ساق . وهذه كلُّها مجازات ، ومنكُر المجاز في اللغة جاحدٌ للضرورة، ومبطل محاسن لغة العرب .

قال امرؤ القيس :

فقلتُ لـه لَمّا تَمَطَّى بصُلبه ∴ وأردَف أعجازًا ونـاء بكَلْكَل

وليس لليلٍ صُلْب ولا أرْداف. وكذلك سموا الرّجل الشجاع أسدًا ،والكريم والعالم بحرًا، والبليد حمارًا ؛لمقابلة ما بينه وبين الحمار في معنى البلادة ،

---

١٧٥ – من الآية ٨٢ من سورة يوسف .

١٧٦ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٦٣-٣٦٤.

والحمارُ حقيقةٌ في البهيمة المعلومة. وكذلك الأسدُ حقيقة في البهيمة ، ولكنه نُقل إلى هذه المستعارات تجوّزًا .

وعمدة الأستاذ أن حدَّ المجاز عند مُثْبتيه أنه كلٌّ كلام تجوّزَ به عن موضوعه الأصلي إلى غير موضوعه الأصلي لنوع مقارنة بينهما في الذات أو في المعنى : أما المقارنة في المعنى فكَوَصْف الشجاعة والبلادة ، وأما في الذات فكتسمية المطر سماءً، وتسمية الفَضلة غائطًا، وعَذِرَة، والعَذِرَة: فناء الدار، والغائط: الموضع المطمئن من الأرض، كانوا يرتادونه عند قضاء الحاجة ،فلما كَثُر ذلك نُقل الاسمُ إلى الفَضْلة ، وهذا يستدعي منقولاً عنه متقدّمًا إليه متأخرًا ،وليس في لغة العرب تقديمٌ وتأخير ،بل كلٌّ زمان قُدّر أن العرب قد نطقَتْ فيه بالحقيقة فقد نطقت فيه بالمجاز ؛ لأن الأسماء لا تدلّ على مدلولاتها لذاتها ؛ إذ لا مُناسبة بين الاسم والمسمَّى ،ولذلك يجوز اختلافها باختلاف الأمم ، ويجوز تغييرها ، والثوب يسمى في لغة العرب باسمٍ ،وفي لغة العَجَم باسم آخر ، ولو سمّي الثوب فرسًا ، والفرس ثوبًا ما كان ذلك مستحيلاً ،بخلاف الأدلة العقلية ، فإنها تدلُّ لذواتها ولا يجوزُ اختلافها ،أما اللغة فإنها تدلُّ بوضع واصطلاح ، والعرب نطقت بالحقيقة والمجاز على وجه واحد ، فجعل هذا حقيقة وهذا مجازًا ، ضربٌ من التحكم ، فإن اسمَ السبع وضع للأسد كما وضع للرجل الشجاع .

وطريق الجواب عن هذا أنا نسلّم له أن الحقيقةَ لا بدَّ من تقديمها على المجاز ،فإن المجاز لا يُعْقل إلا إذا كانت الحقيقة موجودةً ، ولكن التاريخَ مجهولٌ عندنا والجهلُ بالتاريخ لا يدلُّ على عدم التقديم والتأخير.

وأما قوله : إنَّ العربَ وضعت الحقيقة والمجاز وضعًا واحدًا فباطلٌ ، بل العربُ ما وَضعت الأسد اسمًا لعين الرجل الشجاع ،بل اسم العَين في حقّ الرجل هو الإنسانُ، ولكن العربَ سمَّت الإنسانَ أسدًا لمشابهته الأسد في معنى الشجاعة ،فإذاً ثبت أن الأسامي في لغة العرب انقسمت انقسامًا معقولاً إلى هذين النوعين،

فسمَّيْنا أحدَهما حقيقة والآخر مجازًا ،فإن أنكَرَ المعنى فقد جحد الضرورة، وإن اعترف به ونازع في التسمية فلا مشاحّة في الأسامي بعد الاعتراف بالمعاني، ولهذا لا يفهَم من مُطْلَق اسم الحمار إلا البهيمة ، وإنما ينصرف إلى الرجل بقرينة، ولو كان حقيقة فيهما لتناولهما تناولاً واحدًا انتهى.

وقال إمام الحرمين في (التلخيص) والغزالي في (المنخول) : الظنّ بالأستاذ أنه لا يصحّ عنه هذا القول .

وقال التاج السبكي في شرح منهاج الأصول : نقلت من خط ابن الصلاح أن أبا القاسم بن كج حكى عن أبي علي الفارسي إنكارَ المجاز ، كما هو المحكيّ عن الأستاذ .

قلت: هذا لا يصحّ أيضًا ،فإن ابنَ جني تلميذُ الفارسي، وهو أعلم الناس بمذهبه، ولم يحك عنه ذلك، بل حكى عنه ما يدلُّ على إثباته.

قال ابن السبكي([١٧٧]) : وليس مرادُ مَنْ أنكرَ المجازَ في اللغة أن العربَ لم تَنْطق بمثل قولك للشجاع : (إنه أسدٌ) فإن ذلك مُكابرةٌ وعنادٌ ،ولكن هو دائرٌ بين أمرين ، إما أن يَدَّعي أنَّ جميع الألفاظ حقائق ، ويكتفي في الحقيقة بالاستعمال ،وإن لم يكن بأصْل الوضع ، وهذا مسلّم ، ويعود البحثُ لفظياً ،وإن أراد استواءَ الكلّ في أصل الوضع .

قال القاضي في مختصر التقريب : فهذه مُرَاغَمَةٌ للحقائق ، فإنا نعلمُ أن العرب ما وضعت اسم الحمار للبليد([١٧٨])".

وقضية وجود المجاز في لغة العرب قضية شائكة ، تحدث فيها كثير من العلماء ، بين مؤيد ومعارض ، ولكن لعل الرأي الراجح إثبات وجود المجاز في لغة العرب، وتبنى هذا الرأي كثير من العلماء ([١٧٩]).

---

[١٧٧] – ابن السبكي يوجد تبريرا لمن أنكر المجاز.

[١٧٨] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١ص ٣٦٤-٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧.

الموضع الثامن : **خلو اللفظ من الحقيقة والمجاز**:

ثم ذكر أن اللفظ قد لا يكون حقيقة ولا مجازًا ، فقال نقلا عن الإمام وأتباعه :"اللفظُ يجوز خلّوّه عن الوصفين ، فيكون لا حقيقة ولا مجازًا لغويًّا ،فمن ذلك اللفظُ في أول الوَضع قبل استعماله فيما وُضع له ، أو في غيره ، ليس بحقيقة ولا مجاز ؛لأنَّ شرط تحقق كلّ واحد من الحقيقة والمجاز الاستعمالُ ، فحيث انْتَفَى الاستعمال انتفيا ، ومنه الأعلام المتجدّدة بالنسبة إلى مسمّياتها ،فإنها أيضًا ليست بحقيقة لأن مستعملها لم يستَعْملها فيما وُضعت له أولاً ،بل إما أنه اختَرعها من غير سَبْق وَضع ، كما في الأعلام المُرْتجلة ، أو نقلها عما وَضعتْ له كالمنقولة،وليست بمجاز؛ لأنها لم تنقل لعلاقة([١٨٠])"

الموضع التاسع :**اشتمال اللفظ على الحقيقة والمجاز في وقت واحد**:

ثم ذكر أن اللفظ قد يكون حقيقة وقد يكون مجازًا في وقت واحد ، فقال :" قد يجتمع الوصفان في لفظ واحد،فيكون حقيقةً ومجازًا ،إمَّا بالنسبة إلى مَعْنيين وهو ظاهر، وإما بالنسبة إلى معنى واحد،وذلك من وضعين ، كاللفظ الموضوع في اللغة لمَعْنًى، وفي الشرع أو العرف لمعنًى آخر، فيكون استعماله في أحد المعنيين حقيقةً بالنسبة إلى ذلك الوَضع، مجازًا بالنسبة إلى الوَضع الآخر.

قال الإمام وأتْبَاعُه : ومن هذا يُعرف أن الحقيقة قد تصيرُ مجازًا وبالعكس، فالحقيقةُ متى قلَّ استعمالها صارت مجازًا عُرْفًا ،والمجاز متى كثرَ

---

[١٧٩] – ينظر: العمدة في صناعة الشعر ونقده – لابن رشيق – جـ١– ص ٤٢٩ ، ٤٣٠– ت/ د/ النبوي عبد الواحد شعلان – مكتبة الخانجي بالقاهرة– الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م – والدرر السنية في الأجوبة النجدية – تأليف : علماء نجد الأعلام – جـ٣– ص ٢٣٣– ت/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم– الطبعة السادسة – ١٤١٧هـ –١٩٩٦م – ورسائل وفتاوى العلامة أبي بطين – جـ١– ص ٩٧– دار العاصمة – الرياض– الطبعة الثالثة – ١٤١٢هـ– – وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول – للشوكاني – جـ١– ٦٦– ت/الشيخ أحمد عزو عناية – دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م .

[١٨٠] – المرجع السابق – جـ١– ص ٣٦٧.

استعماله صار حقيقة عُرْفًا ، وأما بالنسبة إلى معنى واحد من وَضْع واحد فمحال لاسْتحالة الجمع بين النفي والإثبات([١٨١])".

الموضع العاشر: الاستعارة التمثيلية:

تحدث السيوطي عن الاستعارة التمثيلية في محاور متعددة :

المحور الأول :

في سياق حديثه عن فصاحة رسول الله- ﷺ-:حيث ذكر أن أفصح العرب هو رسول الله – ﷺ-، :" ومنْ فصاحته أنه تكلّم بألفاظ اقْتَضَبَها لم تُسْمَع من العرب قبله ولم توجد في مُتقَدّم كلامها كقوله : (مات حَتْف أَنْفه ([١٨٢]) ، (وحَميَ الوطيس([١٨٣]) ، (لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحرٍ مرَّتين ([١٨٤]) ، في ألفاظ عديدة تَجْري مَجْرى الأمثال([١٨٥])".

وإذا أردنا أن نتوقف قليلا عند هذه الشواهد النبوية ، نجدها في قمة البلاغة النبوية ؛ لأن قوله – ﷺ-: " مات حَتْف أَنْفه "، أي مات بغير قتل ولا ضرب ولا حرق، وهو من يموت على فراشه، والحتف الهلاك، وخص الأنف؛ لأنه أراد أن

---

[١٨١] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١ص ٣٦٧ ، ٣٦٨.

[١٨٢] – أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عتيك عن أبي سلمة، رقم الحديث : ١٥٨١٨ – ت/ محمد عبد القادر عطا – دار الحديث – القاهرة – من دون – وأورده الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » : ورقم الحديث : ٢٤٠١– ت/ مقبل الوادعي – دار الحرمين للطباعة والنشر – من دون .

[١٨٣] –أخرجه مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب، رقم الحديث : ٣٣٢٤.

[١٨٤] – الحديث في صحيح البخاري ٥/٢٢٧١ برقم: ٥٧٨٢ – اعتنى به : عماد الطيار – وياسر حسن – مؤسسة الرسالة – من دون – وصحيح مسلم ٤/٢٢٩٥، برقم:٢٩٩٨– ت/ نظر بن محمد الفاربابي أبو قتيبة – دار طيبة – الطبعة الأولى – ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

[١٨٥] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٢٠٩.

روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه، وهو لا يشعر، ولا يتوقّع ([١٨٦])، فأصبحت هذه العبارة مثلا سائرًا يضرب لحال من مات بهذه الصورة([١٨٧]).

وقوله – ﷺ – يوم حنين: "حَمِيَ الْوَطِيسُ".(الوطيس) التنور أو شبهه مما تجمع فيه النار والوقود، ، أو الضراب في الحرب أو الحرب التي تطيس النـــاس، أي: تدقهم، أو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطأها، عبِّر بهـــذه الجملـــة عـــن اشتباك الحرب، وقيامها على ساق من قبيل الاستعارة التمثيلية ؛ لشدة المعركـــة والتحامها، وقرنها بالحمو ترشيحًا للمجاز، وقيل: هذه اللفظة من فصـــيح الكـــلام وبديعه، الذي لم يسمع من أحد قبل النبي . فهذه الكلمة بكل ما يقال في صـــفتها، كأنما هي نار مشبوبة من البلاغة تأكل الكلام أكلا، وكأنما هي تمثل لك دماء نارية أو نارا دموية ([١٨٨]).

وقوله – ﷺ–: "لاَ يُلْدَغُ المؤمن من جُحْرٍ مرَّتَيْن" فهذه العبارة النبوية تُسْـــتَعْمَل على سبيل "الاستعارة التمثيليّة" ، للتحذير من تكرار العمل الذي جَرَّ مُصِيبة فـــي نفسٍ أو مالٍ، أو أفضى إلى أمْرٍ غير محمود([١٨٩]).

---

[١٨٦] – ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير – للعلامة المناوي –جـــ ١/١٥٤– دار المعرفة للطباعة والنشر– بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – ١٣٩١هـــ–١٩٧٢م.

[١٨٧] – ينظر : مجمع الأمثال – للميداني :جـــ ١/٣١٤ – المطبعة الخيرية – مصـــر – ١٨٩٣م – ١٣١٠هـــ.

[١٨٨] – ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – للرافعي – ص ٣٢٨ – دار الكتاب العربـــي – بيروت– الطبعة التاسعة – ١٣٩٣هـــ– ١٩٧٣م.

[١٨٩] – ينظر: الاجتياز إلى أسرار المجاز– لمحمود الجيزي– جـــ١– ٢٩ – من دون.

المحور الثاني : **الاستعارة التمثيلية تحت مسمى الأمثال**:

وتحدث عنها في عناصر متعددة:

العنصر الأول: **تعريف الأمثال وخصائصها**:

عرف الأمثال نقلا عن أبي عبيد فقال:" قال أبو عُبَيد : الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاوَلَتْ من حاجاتها في المنطق بكنايةٍ غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجازُ اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد ضربها النبي – ﷺ– وتمثل بها هو ومن بعده من السلف([١٩٠])".

من خلال النص السابق يتبين لنا أن خصائص الأمثال ثلاث: إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، ثم يصرح السيوطي بأن النبي – ﷺ– استخدم الأمثال هو ومن بعده من السلف.

ثم ذكر تعريف الفارابيّ للأمثال في ديوان الأدب ، فقال : المثلُ ما تراضاه العامة والخاصّة في لفظه ومعناه حتى ابتذَلوه فيما بينهم ، وفَاهُوا به في السرّاء والضرّاء ، واستدرّوا به الممتنع من الدرّ ، ووصلوا به إلى المطالب القصيّة ،

[١٩٠] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٤٨٦.

وتفرَّجوا به عن الكرب والمكربة ،وهو من أَبْلغ الحكمة ؛ لأنَّ الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة ، أو غير مبالغ في بلوغَ المَدَى في النَّفَاسة(١٩١)".

ثم ذكر تعريف المرزوقي للمثل في شرح الفصيح ، فقال :" المثلُ جملة من القول مقتضّبةٌ من أصلها ، أو مرسلةٌ بذاتها ، فتتَّسم بالقبول ، وتشتهر بالتداول ، فتنقل عما وردت فيه إلى كلّ ما يصح قَصْدُه بها من غير تغيير يلحقها في لفظها ، وعما يُوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني ، فلذلك تُضْرب وإن جُهلت أسبابُها التي خرّجت عليها ، واستجيز من الحذف ومُضَارع ضرورات الشعر فيها ما لا يُسْتَجازُ في سائر الكلام (١٩٢)".

العنصر الثاني: الأمثال لا تُغيَّر:

ثم بين السيوطي أن :" الأمثال لا تُغيَّر ، بل تجري كما جاءت ، قال ابنُ دريد في الجمهرة وابن خالوية : كانت نساءُ الأعراب يُؤَخِّذْن الرجال بخَرَزة يَقُلْن : يا قَبَلَة اقْبليه ويا كَرَار كُرّيه أُعيذه باليَنْجَلب .هكذا جاء الكلام وإن كان ملحونًا ؛ لأن العَرَب تجري الأمثال على ما جاءت ، ولا تستعملُ فيها الإعراب(١٩٣)".

العنصر الثالث : شروط الأمثال:

تحدث السيوطي عن شروط الأمثال ، نقلا عن المرزوقي فقال:" من شرط المثل ألاَّ يغير عما يقع في الأصل عليه، ألاَ ترى أن قولهم: (أعط القوس باريها)، تُسكَّن ياؤه ، وإن كان التحريك الأصل ؛ لوقوع المثل في الأَصل على ذلك وكذلك قولهم:(الصيفَ ضيعت اللبن)، لمَّا وقع في الأصل للمؤنث لم يُغيَّر من بعد، وإن ضُرب للمذكر.

---

١٩١ – المرجع السابق – جـ١– ٤٨٦.
١٩٢ – المرجع السابق– جـ١– ص ٤٨٦، ٤٨٧
١٩٣ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٤٨٧.

وقال التبريزي في تهذيبه : تقول : (الصيف ضيعت اللبن) ، مكسورة التاء ، إذا خوطب بها المذكر والمؤنث والاثنان والجمع ؛لأن أصلَ المَثل خوطبت به امرأة ، وكذلك قولهم : (أَطرّي فإنك ناعلَه) ، يضرَبُ للمذكر والمؤنث والاثنين والجمع على لفظ التأنيث([١٩٤])" .

العنصر الرابع: **شواهد الأمثال**:

ثم استرسل السيوطي في ذكر جملة من الأمثال ،- نعتذر عن عدم تحليلها والوقوف أمامها؛ خشية إطالة الدراسة ، ولعلها جميعها تدخل تحت باب الاستعارة التمثيلية - نقلا عن القالي في أماليه ، فقال:" من أمثال العرب : (مَنْ أَجْدَب انْتَجَع)؛ يقال عند كراهة المنزل ، والجوار ، وقلة المال([١٩٥]).

ومن أمثالهم : (الجحْشَ لما بَذَّكَ الأعيارُ) .يضرب لمن يطلب الأمر الرفيع فيفوته فيقال له : اطلب دون ذلك .

ومن أمثالهم : (يا حبَّذَا التُّرَاثُ لولا الذّلة) .أي الميراث حُلو لولا أن أهلَ بيته يقلّون .

ومنها : (أصلح غَيْثٌ ما أفسد بَرَدُه) .يضرب لمن يكون فاسدًا ثم يصلح .

(هذا ولمّا تَردي تهَامة). يُضرب لمن يَجْزَع قبل وقت الجزَع .

(عرف حَميق جَمَله) .يُضْرب لمن عرف خصمه فاجترأ عليه .

(من استرعى الذّئب ظَلم) .يُضرب لمن ولّى غيرَ الأَمين .

(خَرْقَاء وجدت صُوفًا) .يضرب للسّفيه يقع في يده مالٌ فيعبَث فيه .

(الذَّوْد إلى الذَّوْد إبل) .أي إذا اجتمع القليل إلى القليل صار كثيرًا .

(ربَّ عجَلة تَهَبُ ريثًا).أي ربما استعجل الرجل فألقاه استعجاله في بُطء .

(بفلان تُقْرَن الصَّعْبة) . أي أنه يذل المستصعب .

---

[١٩٤] - المرجع السابق - جـ١- ٤٨٨.

[١٩٥] - المرجع السابق- جـ١- ص ٤٨٨.

(حيث لا يضعُ الرَّاقي أنفَه) .أي أن ذلك الأمر لا يُقْرَب ولا يُدنى منه وأصله أن ملسوعًا لسع في اسْته فلم يقدر الراقي أن يقرّب أنفه مما هنالك([١٩٦]).

(أهون هالكٍ عجوزُ في عام سَنَةٍ) .مثل للشيءُ يستخفّ بهلاكه .

(لا يُعْجَب للعروس عام هدَائها) .يُراد أن الرجل إذا استأنف أمرًا تحمّل له

(الشرُّ ألجأ إلى مخّ العراقيب) .يقال عند مسألة اللئيم أَعْطَى أو مَنَع .

(سكت ألفًا ونطق خَلْفًا) .أي سكت عن ألف كلمة ونطق بواحدة رديئة .

(تَفْرقُ من صَوْت الغراب وتفترسُ الأسد المَشيَّم). وهو الذي قد شُدّ فوه ، وذلك أن امرأة افترست أسدًا وسمعت صوت غراب ففزعت منه ، يقال للذي يَخَاف اليسير من الأمر وهو جريء على الجسيم .

(رُوغي جَعَارٍ وانظري أينَ المفرّ) .يقال للذي يَهْرب ولا يقدر أن يَغْلب صاحبه .

(أسمع جعجعةً ولا أرى طحْنًا) .أي اسمع جَلَبة ولا أرى عملاً ينفع، والجعجعة : صوت الرحى ، والطّحْنُ : الدقيق([١٩٧]) .

(إن البغَاثَ بأرضنا يَسْتَنْسر) .يضرب مثلاً للرجل يكون ضعيفًا ثم يقوى .

قال القالي : سمعت هذا المثل في صباي من أبي العباس ، وفسره لي فقال : يعود الضعيف بأرضنا قوياً .ثم سألت عن أصل هذا المثل أبا بكر بن دريد فقال : البغَاث : ضعاف الطَّير ، والنّسر قوي ، فيقول : إن الضعيف يصير كالنّسر في قوته.

(لو أجد لشَفْرَةٍ محزّا) . أي لو أجد للكلام مساغًا .

(كأنما قُدّ سيْرُه الآن) . يقال للشيخ إذا كان في خلْقه الأحداث .

(يجري بُلَيْقٌ ويُذَمّ) . يقال للرجل يحسن ،ويُذَمّ .

(لا يَبضّ حَجَرُه). أي لا يخرُج منه خير، يقال: بَضَّ الماء إذا خَرج قليلًا قليلًا.

(الحُسْنُ أَحْمَرُ) . أي من أراد الحسن صَبَر على أشياء يكرهُها.

---

[١٩٦] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٤٨٩.

[١٩٧] – المرجع السابق – جـ١– ٤٩٠.

(يداك أوْكَتَا وفُوك نَفخ) .

يقال لمن فعل فَعَلَةً أخطأ فيها ، يُراد بذلك أنك من قبَلك أُتيت ، وأصلُه أن رجلًا قطع بحرًا بزقّ فانفتح ، فقيل له ذلك ([١٩٨]).

(العيْر أَوْقَى لدَمه) .يقال ذلك للرجل ، أي أنه أشد إبقاء على نفسه .

(عبدٌ صريخُه أَمَة) .يضرب مثلًا للضعيف يستصرخ بمثله.

(النَّقْدُ عند الحافر) . يراد به عند أوَّل كلمة ، قال بعض اللغويين : كانت الخيل أفضلَ ما يباع ، فإذا اشترى الرجل الفرس قال له صاحبه : النَّقد عند الحافر ، أي عند حافر الفرس في موضعه قبل أن يزولَ .

(خُبَأةٌ خيرٌ من يَفَعَة سَوْءٍ) .أي بنت تلزم البيت تَخبَأُ نفسها فيه خيرٌ من غلام سَوْء لا خير فيه.

طلَب الأبَلقَ العَقوق فلمّا ∴ لم يَجدْه أرادَ بَيْض الأنُوق

يضرب مثلاً لمن طلب ما لا يقدر عليه ، والأنوق : الذكر من الرّخم ولا بيضَ له ، وقيل بل الأنثى ؛ لأنها لا تبيض إلا في مكان لا يُوصَل فيه إلى بيضها .

وفي أمالي ثعلب : إذا سُئل الرجل ما لا يكون أو ما لا يقدر عليه يقول : (كلّفتني الأبلَق العَقُوق) ، (وكلفتني سلَى جَمَلٍ)، (وكلفتني بَيْضَ الأنوق) وهي الرّخمة لا يُقْدَر على بَيْضها ، (وكلفتني بيض السماسم) ، وهو طير مثل الخطَّاف ، والعَقوق : الحامل ، والأبلق ذكر فهذا ما لا يكون ([١٩٩]).

وقال القالي: ومن أمثالهم: (برّق لمن لا يعرفك) . يقال للذي توعّد من يعرفه، أي اصنع هذا بمن لا يعرفك .

(شرَّاب بأنْقُع) . أي معاود للأمور يأتيها مرَّة بعد أخرى .

(مُخْرَنْبقٌ ليَنْبَاع) .أي مطرق ساكت ليَثبَ .

---

[١٩٨] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٤٩١.

[١٩٩] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٤٩٢.

وقال ثعلب في أماليه : (ضرَب أخماسًا لأسْداس) ، يُضْرَب مثلًا في المكر قال الشاعر :

إذا أرادَ امـــرؤٌ مكـــرًا جنـــى علـــلاً ∴ وظـــلَّ يضـــرب أخماســـاً لأسْـــدَاس

وأصله أن قومًا كانوا في إبل لأبيهم غرَابًا ،فكانوا يقولون للرّبْـــع مـــن الإبـــل : الخمْس ، وللخمْس السّدْس ، فقال أبوهم : إنما تقولون هذا لترجعوا إلى أهليكم ؛ فصارت مثلًا في كل مكر ([٢٠٠]).

وقال ابن دريد في أماليه أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : سئل يونس يومًـــا عن المثل : (مُجير أم عامر) ، فقال : خرج فتيان من العرب للصـــيد فأثـــاروا ضبعًا فانفلتت من بين أيديهم ، ودخلت خباءَ بعض العرب فخرج إليهم ، فقال : واللَّه لا تَصلون إليها ، فقد استجارت بي ، فخلّوا بينه وبينها ، فلما انصرفُوا عمد إلى خُبْز ولَبَن وسَمْن ، فثرده وقرَّبه إليها ، فأكلت حتى شبعت وتمدّدت في جانب الخباء ،وغلَب الأعرابيَّ النوم ، فلما استثقل وثبت عليه فقرضت حَلْقه ، وبقَـــرَتْ بطنَه ، وأكلت حُشْوته ، وخرجت تسعى ، وجاء أخٌ للأعرابي فلما نظر إليه أنشـــأ يقول :

ومـــن يصـــنع المعـــروف في غـــير أهلـــه ∴ يـــلاق الـــذي لا قـــى مجـــيرُ أمّ عـــامر

أعـــدّ لهـــا لمـــا اســـتجارت ببيتـــه ∴ قراهـــاَ مـــن البـــان اللقـــاح البَهَـــازر

فأشـــبعها حتـــى إذا مـــا تمطَّـــرَت ∴ فَرَتْـــه بأنيـــابٍ لهـــا وأظـــافر

فقل لذي المعروف : هذا جزاء من ... يجودُ بمعروف إلى غير شاكر

ومن الأمثال المشهورة: مَوَاعيده عُرْقوب .

قال أبو علي أحمد بن إسماعيل القمي النحوي في كتاب جامع الأمثال :(هو رجلٌ من خَيبر كان يهوديًّا وكان يَعد ولا يَفي ، فضرَبت به العربُ المثلَ([٢٠١]).

---

[٢٠٠] – المرجع السابق – جـ١– ٤٩٣.

قال المتلمس :

الغـــــدر والآفـــــات شـــــيمتُه ∴ فـــــافهمْ فعرقـــــوبٌ لـــــه مَثَـــــل

وقال كعب بن زهير :

كانـــت مواعيـــدُ عُرْقُـــوب لهـــا مثلًـــا ∴ ومـــــا مواعيـــــدُها إلا الأباطيـــــل

وقال أبو عبيد : عُرْقوب رجل من العماليق أتاه أخٌ له يسألُه فقال له عرقوب : إذا أطْلعت هذه النخلة فَلك طَلْعُها .فلما أطلعت أتاه فقال : دَعْها حتى تصيرَ بلحاً .فلما أبلَحَت قال : دعْها حتى تصيرَ زَهْوًا ، فلما أَزهَتْ قال : دعها حتى تصير رُطَبًـا ، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرًا ، فلما أَتْمَرت عمَد إليها عُرْقُوب من الليل فجذَّها ، ولم يُعْط أخاه شيئًا ، فصار مثلا ، وفيه يقول الأَشجعي :

وعـــدتَ وكـــان الخُلْـــفُ منـــك سَـــجيّةً ∴ مواعيـــــدَ عُرْقُـــــوبٍ أَخـــــاه بيَثْـــــرب

وقال آخر :

وأكـــذب مـــن عُرْقُـــوب يَثْـــرب لهجـــةً ∴ وأبـــين شـــؤمًا في الحـــوائج مـــن زُحَـــلْ

ومن الأمثال المشهورة : (تَسْمَعُ بالمُعَيْديّ خيرٌ من أن تراه) . قال أبو عبيـد : أخبرني ابن الكلبي أن هذا المثلَ ضُربَ للصقعب بن عمرو النهدي قاله له النعمان بن المنذر ([٢٠١]).

ومن الأمثال المشهورة قولهم : (يعرف من أين تُؤْكل الكتف) ، قال المطـرزي في شرح المقامات : يضرب للدّاهية الذي يأتي الأمورَ من مَأْتاها ، لأن أكل الكتف أعسر من غيرها ، وقيل : أكلها من أسفلها لأنه يسهل انحـدار لحمهـا، ومـن أعلاها يكون متعقدًا ملتويًا؛ لأنه غُضروف مشتبك باللحم، وبعضهم يقول: المرقة

---

[٢٠١] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٤٩٤.
[٢٠٢] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٤٩٥.

تجري بين لحم الكتف والعَظْم ، فإذا أخذتها من أعلى خرّت عليك المرقة وانصبَّت، وإذا أخذتها من أسفلها انقشر من عظمها خاصة والمرقة مكانها ثابتة(٢٠٣).

ومن الأمثال المشهورة قولهم : (عند جُهَينة الخبر اليقين) ، وكان من حديثه أن حُصَين بن عَمرو بن معاوية بن كلاب خرج ومعه رجل من جهينة يقال له الأَخْنَس ، فنزلا منزلاً ،فقام الجُهَنيُّ إلى الكلابي فقتله وأخذ مالَه ، وكانت أخته صَخْرَةُ بنتَ عمرٍو تَبْكيه في المواسم وتسألُ عنه فلا تجد مَن يُخبرها ، فقال الأخنس فيها :

كصَخْرَة إذ تُسائل في مَراح ∴ وفي جَرْمٍ وعلْمُهما ظُنونُ

تُسَائل عن حُصَيْنٍ كلَّ رَكْبٍ ∴ وعند جُهَينة الخبرُ اليقينُ

ومن أمثالهم المشهورة ،قولهم: (بمثْل جَارية فلْتَزْن الزَّانية) ، وذلك أن جارية ابن سليط بن الحارث بن يربوع بن حنَظلَة كان أحسنَ الناس وجْهاً وأمدّهم قامة ، وأنه أتَى سوقَ عُكاظ فأبصرته فتاةٌ من خثعم فأعجبها ، فتلطَّفت له حتى وقع عليها ، فَعلقت منه فلما ولدت أقبلت هي وأمها وخالتها تلتمسه بعُكاظ فلما رأته الفتاةُ ، قالت : هذا جارية ! فقالت أمها : بمثل جارية فلْتَزْن الزانية ، (سرًّا أو علانية) ، فذهب مثلًا .

ومن الأمثال المشهورة، قولهم: (لا تَعْدَمُ الحسناء ذَامًّا)، أي لا يسلم أحدٌ من أن يكون فيه شيء من عيب، والذَّام : العَيْب (٢٠٤).

الكناية:

تحدث الإمام السيوطي عن الكناية في محورين :

المحور الأول: الكناية تحت مسمى الإشارة.

المحور الثاني: العلة من استخدام الكناية.

المحور الأول: **الكناية تحت مسمى الإشارة**.

---

٢٠٣ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٤٩٧.

٢٠٤ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٤٩٨، ٤٩٩.

تحدث عن الكناية في موضع آخر تحت مسمى الإشارة ، حيث قال:" ومن سنن العرب أن تُشيرَ إلى المعنى إشارةً ،وتومئ إيماءً دون التصريح ، نحو طويلُ النّجاد ، يريدون طولَ الرَّجل ، وغَمْر الرّداء : يُومئون إلى الجُود ، وطَرب العنان : يُومئون إلى الخفَّة والرَّشاقة([٢٠٥])". وهذه كلها كنايات عن صفة.

المحور الثاني: العلة من استخدام الكناية

علل لاستخدام الكناية فقال:"والذي دعاهم إلى التكنية الإجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه ونظيرهُ العدولُ عن فعلٍ إلى فعل في نحو قوله : (وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ ([٢٠٦]) .

ومعنى كَنَيْتُه بكذا : سمّيتُه به على قَصْد الإخفاء والتورية ثم ترقَّوْا عن الكُنَى إلى الألقاب الحسنة ([٢٠٧])".

ومن خلال النص السابق يتبين لنا أن العلة من استخدام الكناية- كما ذكر السيوطي-:

١- الإجلال عن التصريح بالاسم.

٢- الإخفاء والتورية.

---

[٢٠٥] - المرجع السابق - جـ١- ص٣٣٨ .

[٢٠٦] - من الآية ٤٤ من سورة هود.

[٢٠٧] - المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ١- ص ٣٤٣.

المبحث الثالث

المسائل البلاغية للسيوطي في علم البديع

تحدث الإمام السيوطي عن كثير من المحسنات البديعية ، سواء كان حديثه عنها صراحة أم ضمنيا، فمن الألوان البديعية التي تحدث عنها:

المشاكلة:

تناول الإمام السيوطي المشاكلة في ثلاثة محاور:

المحور الأول: **المشاكلة تحت مسمى الجزاء عن الفعل بمثل لفظه**

حيث قال :" ومن هذا الباب الجزاءُ عن الفعْل بمثل لفظه ، نحو : (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ[٢٠٨]) ،أي يجازيهم جزاء الاستهزاء،(وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ[٢٠٩]),(وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ[٢١٠]),(نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ[٢١١]),(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا[٢١٢]), ومثل هذا في شعر العرب قول القائل :

ألا لا يَجْهلـــن أحـــدٌ علينـــا ∴ فنجهـــلَ فـــوقَ جهـــل الجاهلينـــا

انتهى ما ذكره ابن فارس[٢١٣]".

كل هذه الشواهد التي ذكرها الإمام السيوطي من صريح المشاكلة ، مما يدلل علمه الواسع بفنون البديع وشواهده من القرآن والسنة ، حتى وإن كان الكلام منقولا من ابن فارس.

---

[٢٠٨] –من الآيتين ١٤–١٥ من سورة البقرة.
[٢٠٩] – من الآية ٥٤ من سورة آل عمران.
[٢١٠] – من الآية ٧٩من سورة التوبة.
[٢١١] – من الآية ٦٧من سورة التوبة.
[٢١٢] – من الآية ٤٠ من سورة الشورى.
[٢١٣] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١ ص ٣٤٠.

المحور الثاني: المشاكلة في سياق المترادفات

تحدث عن المشاكلة أيضا في سياق حديثه عن المترادفات ، حيث قال :" وأما قولُهم – أي ابن فارس–: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعّبَر عنه الشيء بالشيء ،فإنا نقول : إنما عُبّر عنه من طريق المُشاكلة ، ولسنا نقول : إن اللَّفْظَتين مختلفتان فيلزمنا ما قالوه ،وإنما نقولُ : إن في كل واحدةٍ منهما معنىً ليس في الأخْرى([٢١٤])".

المحور الثالث : المشاكلة بين الحقيقة والمجاز

ردَّ السيوطي في هذا المحور على الذين جعلوا المشاكلة واسطة بين الحقيقة والمجاز ، وفي ذلك يقول:" وقد ألحق بعضُهم بذلك اللفظ المستعمل في المشاكلة ، نحو : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا([٢١٥]) ،فذكر أنه واسطةٌ بين الحقيقة والمجاز، وهو ممنوعٌ كما بيَّنْتُه في الإتقان وغيره([٢١٦])".

ومن خلال النص السابق يتبين لنا أن السيوطي لم يوافق على جعل المشاكلة واسطة بين الحقيقة والمجاز ، وإنما ألحقها بالمجاز صراحة ، وفي ذلك يقول في كتابه "الإتقان " :" والذي يظهر : أنها مجاز والعلاقة المصاحبة ([٢١٧])".

وتصريحه بأنها مجاز ، جعلنا نبحث عنها في كتب البلاغيين ، فوجدنا كثيرا منهم لا يوافق السيوطي في رأيه بأنها مجاز ، وإنما ذكرها ضمن ألوان البديع ، دون

---

[٢١٤] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٤٠٤،٤٠٥.

[٢١٥] – من الآية ٤٠ من سورة الشورى.

[٢١٦] –– المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٦٧.

[٢١٧] – الإتقان في علوم القرآن – جـ٣– ١٤٠– ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م.

التطرق هل هي حقيقة أم مجاز ؟ ([٢١٨])، ووجدنا قليلا منهم يوافق السيوطي في أنها مجاز، ومن هؤلاء الإمام الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي، حيث قال – عند تعرضه لقول الله – تعالى – :" إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ([٢١٩])"– :" قوله – أي البيضاوي– اللازم .....يقتضي أنه مجاز مرسل ، لاستعماله في لازم معناه ، كالرحمة والغضب ، وقوله : سابقا ترك من يستحي، ولاحقا لما فيه من التمثيل يقتضي أنه استعارة تبعية سواء كانت تمثيلية، أو لا كما مر تحقيقه([٢٢٠])".

وأستاذنا الدكتور فريد النكلاوي تعرض – أيضا – لمجازية المشاكلة في كتابه " البيان عند الشهاب الخفاجي " ([٢٢١]).

---

[٢١٨] – ينظر: الإيضاح للخطيب القزويني – ص ٣٧٥، ٣٧٦–– وعقود الجمان في علم المعاني والبيان – للسيوطي– جـ١– ص ٢٣– ت/ عبد الحميد ضحا – دار الإمام مسلم للطباعة والنشر– القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م – وإتفاق المباني وافتراق المعاني – لأبي الربيع سليمان تقي الدين المصري– ص ١٧٦–ت/ يحيي عبد الرؤوف جبر– دارعمار– عمان– الطبعة الأولى– ١٩٨٥م – وإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز– لبديع الزمان سعيد النورصي – جـ١– ص ٩٥– ت/إحسان قاسم الصالحي– تقديم / د/ محسن عبد الحميد – من دون – وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة – لعبد المتعال الصعيدي – جـ٤– ص ١٩، ٢٠– مكتبة الآداب – الطبعة التاسعة – ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠ م – وجواهر البلاغة – للهاشمي – ص ٢٩٢، ٢٩٣– ت/ محمد رضوان مهنا– مكتبة الإيمان– الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

[٢١٩] – من الآية ٢٦ من سورة البقرة .

[٢٢٠] – حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي – جـ٢– ص ٨٥.

[٢٢١] – البيان عند الشهاب الخفاجي في كتابه " عناية القاضي وكفاية الراضي " القسم الثاني – في المجاز المرسل – أ.د/ فريد محمد بدوي النكلاوي – ص ٥٠٠، ٥٠١– مطبعة الأمانة – شبرا – مصر– ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

التورية:

تحدث عن التورية في محورين :

المحور الأول :التورية تحت مسمى المشترك في اللغة:

حيث قال:" والقسم الثاني مما ذكره- ابن فارس- هو المشتَرك الذي نحنُ فيه .

وقد حدَّه أهل الأصول بأنه اللفظُ الواحدُ الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة ،واختلف الناسُ فيه ، فالأكثرون على أنه مُمْكنُ الوقوع ؛ لجواز أن يقعَ إما من وَاضعيْن ، بأنْ يضعَ أحدُهما لفظاَ لمعنىً ، ثم يضعُه الآخرُ لمعنَى آخر ، ويَشْتَهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين ،وهذا على أنَّ اللغات غيرُ توقيفية ،وإما منْ واضعٍ واحدٍ لغرض الإبهام على السامع حيثُ يكونُ التصريح سبباً للمَفْسدة ، كما رُوي عن أبي بكر الصديق – ﷺ – وقد سأله رجل عن النبي – ﷺ- وقت ذهابهما إلى الغار : مَنْ هَذا ؟قال : هذا رجلٌ يَهْديني السبيلَ ([٢٢٢])".

فقول أبي بكر – ﷺ-:" هذا رجلٌ يَهْديني السبيلَ "، المراد به يهديه إلى الإسلام ، فورَّي عنه بهادي الطريق ، فالرجل فهم منه أنه مرشد له في الصحراء ، وأبو بكر يقصد أنه يهديه الطريق إلى الله – تعالى- ، وهذا أحد وجوه بلاغة التورية ، حتى لا يضطر أبو بكر إلى الكذب .

---

[٢٢٢] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١- ص٣٦٩.

المحور الثاني : التورية تحت مسمى الملاحن

حيث قال : "في الملاحن ،وقد كانت العرب تتعمَّد ذلك وتقصده إذا أرادت التَّوْرية أو التعمية ،قال القالي في أماليه : قرأتُ على أبي عمر المطَرّز قال : حدثني أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال : أَسرَت طيىء رجلًا شابًّا من العرب ، فقدم أبوه وعمُّه ليَفْدياه ، فاشتطُّوا عليهما في الفداء ، فأعطيا به عطيَّة لم يَرْضوْها ، فقال أبوه : لا والذي جعل الفَرْقَدين يُمسيان ويُصْبحان على جَبَلي طَيّىء لا أزيدكم على ما أعطيتكم ،ثم انصرفا.

فقال الأب للعم : لقد ألقيتُ إلى ابني كُلَيمة ، لئن كان فيه خير لَيَنْجُونَّ . فما لبث أن نجا وأطْرَد قطعة من إبلهم . فكأنَّ أباه قال له : الزم الفَرْقدين على جبلي طيىء فإنهما طالعان عليهما وهما لا يغيبان عنه(٢٢٣)".

ثم ذكر الإمام السيوطي العلة من وراء استخدام التورية ، فقال نقلا عن ابن دريد :"هذا كتاب ألّفناه ليفزع إليه المجبّرُ ، المُضْطَهد على اليمين ، المُكْرَه عليها ، فيعارض بما رسمناه ، ويضمر خلافَ ما يظهر ؛ ليَسْلَم من عادية الظالم ، ويتخلَّص من جَنف الغاشم ، وسمّيناه (الملاحن) واشتَقَقْنَا له هذا الاسم من اللغة العربية الفصيحة التي لا يشوبُها الكدَر ، ولا يستولي عليها التكلّف(٢٢٤).

ثم بين أن أصل اللحن ، التورية ، فقال:" قال أبو بكر : معنى قولنا الملاحن ، لأنّ اللحن عند العرب : الفطْنة ، ومنه قول النبي – ﷺ- : (لعلَّ أحدَكم أن يكون ألحنَ بحجته(٢٢٥)، أي أفطن لها وأغوص عليها ،وذلك أن أصل اللحن أن تريد شيئاً فتورّي عنه بقول آخر(٢٢٦)".

---

٢٢٣ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١- ٥٦٧.

٢٢٤ – المرجع السابق – جـ١- ٥٦٧، ٥٦٨.

٢٢٥ – الحديث في صحيح البخاري برقم ٢٤٩٦- وفي مسلم برقم ٣٢٣٧- وفي الترمذي برقم ١٢٥٥.

٢٢٦ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١- ص ٥٦٨.

ثم ذكر بعض الشواهد ، فقال:" كقول العنبري وقد كان أسيرًا في بكر بن وائل ، حين سألهم رسولاً إلى قومه ، فقالوا له : لا تُرْسل إلاَّ بحضرتنا ؛لأنهم كانوا قد أزمعوا غَزْوَ قومه ،فخافوا أن يُنْذرهم ، فجىء بعبد أسود ، فقال : (له : أتعقل ؟ قال : نعم ، إني لعاقل . قال : ما أراك كذلك . فقال : بلى ، فقال : ما هذا ؟ – وأشار بيده إلى الليل – فقال : هذا الليل ،قال : ما أراك عاقلًا ؟ ،ثم ملأ كفّيه من الرمل ، فقال : كم هذا ؟ . فقال : لا أدري ، وإنه لكثير ، قال : أيما أكثر النجوم أم التراب ؟ قال كلٌّ كثير .

قال : أبلغ قومي التّحية ، وقل لهم : ليُكْرموا فلانًا – يعني أسيرًا كان في أيديهم من بكر ، فإن قومَه لي مكرمون ، وقل لهم : إنَّ العَرْفَج قد أدْبى ، وقد شكّت النساء ، وأمْرُهم أن يُعْروا ناقتي الحمراء ،فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملي الأصْهَب ، بآية ما أكلتُ معكم حَيْسًا ،واسْألوا الحارث عن خَبري .

فلما أدّى العبدُ الرسالة قالوا : لقد جُنَّ الأعور ، واللّه ما نعرف له ناقةً حمراء ،ولا جملًا أصْهب ، ثم سرَّحوا العبد ودعُوا الحارث فقصّوا عليه القصة ،فقال : قد أنذركم ،أما قوله : أدْبي العّرْفج : يريد أن الرجال قد اسْتَلأَموا ولبسوا السلاح ، وقوله : شَكَّت النساء ، أي اتخذن الشّكاء للسفر ، وقوله : الناقة الحمراء ، أي ارتحلوا عن الدَّهْناء واركبوا الصَّمَّان وهو الجمل الأصهب ، وقوله : أكلت معكم حَيْسًا ،يريد أخلاطاً من الناس قد غَزْوكم ؛لأن الحَيْس يجمع التمر والسمن والأَقط ،فامتثلوا ما قال ، وعرفوا لَحْن كلامه ، وأخذ هذا المعنى أيضًا رجل كان أسيرًا في بني تميم ، فكتب إلى قومه شعرًا :

حُلُّوا عن الناقة الحمراء أرحُلكم ∴ والبازلَ الأصهَب المعقول فاصْطَنعُوا

إن الذّئابَ قد اخضَرَّت بَرَاثنُها ∴ والناسُ كلُّهم بكْرٌ إذا شَبعُوا

يريد أن الناس إذا أخصَبوا أعداء لكم كبَكْر بن وائل(٢٢٧)".

---

٢٢٧ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٥٦٨ – ٥٧٠.

ومن الجدير بالذكر :أن ابن أبي الإصبع المصري عدَّ الشاهد السابق نوعا من أنواع الإشارة ، حيث قال:" ومن الإشارة نوع يقال له اللحن والوحي، وهو يجمع العبارة والإشارة ببعد لا يفهم طريقه إلا ذو فهم، كما قال الشاعر كامل:

ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ∴ ولحنت لحنًا ليس بالمرتاب

ومثال ذلك ما حكى عن رجل من بلعنبر، أسر في بكر بن وائل فسألهم أن يرسل إلى قومه؛ فقالوا: ترسل بحضرتنا، وخافا أن ينذرهم، فإنهم عزموا على غزو قومه، فحضروا وأحضروه عبدًا، فقال له: أتعقل؟ قال: إني لعاقل، فأشار إلى الليل، وقال: ما هذا؟ فقال: الليل؛ فقال: أراك عاقلًا.....إلى آخره([٢٢٨])".

مناسبة الألفاظ للمعاني

تعرض لهذا اللون البديعي ، حيث قال نقلا عن عبّاد بن سليمان من المعتزلة:" أنه ذهبَ إلى أنَّ بين اللفظ ومدلولَه مناسبةً طبيعيةً حاملةً للواضع على أن يضعَ ، .... وكان بعضُ مَنْ يرَى رأْيَه يقول : إنه يعرفُ مناسبةَ الألفاظ لمعانيها ، فَسُئل ما مُسَمَّى (اذغاغ) وهو بالفارسية الحجر ، فقال : أجدُ فيه يُبْسًا شديدًا ، وأراه الحجر([٢٢٩])".

ونلاحظ أنه أتى بمثال تحققت فيه المناسبة بين الألفاظ ومعانيها ؛ لأن الحجر يدل على اليبس والشدة والصلابة ، فتحققت فيه المناسبة.

ثم زاد الأمر وضوحا عندما عقد عنوانا جانبيا في الكتاب تحت مسمى :" مناسبة الألفاظ للمعاني([٢٣٠])"، وقال نقلا عن ابن جني:"هذا مَوْضع شريف نبَّه عليه الخليل وسيبويه ، وتَلَقَّتْه الجماعة بالقبول ([٢٣١])".

---

[٢٢٨] – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر – لابن أبي الإصبع المصري– ص ١٩٧، ١٩٨– ت/ د/حفني محمد شرف– لجنة إحياء التراث الإسلامي – من دون.

[٢٢٩] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١ص٤٧.

[٢٣٠] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ١ص ٤٨.

[٢٣١] – المرجع السابق– جـ١–ص ٤٨.

ثم ذكر بعض الأمثلة الواضحة على مناسبة الألفاظ للمعاني ، فقال نقلا عن الخليل:" كأنهم تَوَهَّموا في صوت الجُنْدُب استطالةً و (مَدًّا) ، فقالوا : (صَرّ) ، وفي صوت البازي تقطيعًا ، فقالوا : (صرصر)([٢٣٢])".

وبعد أن انتهى من ذكر بعض الشواهد التي تحققت فيها المناسبة بين الألفاظ والمعاني ([٢٣٣]) ، أشاد بهذا اللون البديعي الجميل ، وصنفه تصنيفا صحيحا ، ورده إلى علم البديع ، فقال:" فانْظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها ، وكيف فَاوَتَت العربُ في هذه الألفاظ المُقْتَرنة المتقاربة في المعاني ، فجعلت الحرفَ الأضْعف فيها والألْين والأخْفَى والأسْهل والأهْمس لمَا هو أدْنى وأقلّ وأخفّ عملًا أو صوتًا، وجعلت الحرفَ الأقْوى والأشدّ والأظهر والأَجهر لمَا هو أقوى عملًا وأعظم حسًّا ، ومن ذلك المدّ والمطّ، فإنَّ فعْلَ المطّ؛ أقوى لأنه مدٌّ وزيادةُ جَذْب ، فناسَب الطاء التي هي أَعْلى من الدال([٢٣٤])".

ومن الجدير بالذكر:أن هذا اللون البديعي تحدث عنه كثير من العلماء ([٢٣٥])، فها هو ابن جني يعقد " بابا " في الخصائص تحت مسمى " إمساس الألفاظ أشباه المعاني"([٢٣٦]) ،وتحدث عنه ابن أبي الإصبع المصري ، تحت باب " ائتلاف اللفظ مع المعنى "، وعرفه بقوله :أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى([٢٣٧]).

---

[٢٣٢] – المرجع السابق – جـ١–ص ٤٨.
[٢٣٣] – ينظر: المرجع السابق – جـ١– ٤٨، ٤٩، ٥٠.
[٢٣٤] – المرجع السابق– جـ١ص٥٣.
[٢٣٥] – ينظر: التفسير القيم – لابن القيم – جـ١– ص ٣٣٣– ت/ مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية – بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان – دار ومكتبة الهلال – بيروت – الطبعة الأولى– ١٤١٠هـ –وفقه اللغة وسر العربية – للثعالبي– ص ١، ١٣– ت/ مصطفى السقا – مطبعة مصطفى بابي الحلبي – الطبعة الثالثة – من دون.
[٢٣٦] – ينظر: الخصائص – جـ٢– ص ١٥٢– ت/ محمد علي النجار – عالم الكتب – بيروت – من دون .
[٢٣٧] – ينظر: تحرير التحبير – ص ٥٠.

الإشارة أو الإيماء اللطيف

تعرض لهذا اللون البديعي في سياق حديثه عن خصائص اللغة ، حيث قال نقلا عن ابن فارس:" فأين لسائر الأُمم ما للعرب ؟ ومن ذا يُمكنُه أن يُعبّر عن قولهم : ذَات الزُّمَين ، وكثرة ذات اليد ، ويد الدّهر ، وتخَاوَصَت النجوم ، ومجَّت الشمسُ ريقَها ، ودَرَأ الفيء ، ومَفاصل القول ، وأتى بالأمر من فصّه ، وهو رَحْب العَطَن ، وغَمْرُ الرّداء ،ويَخْلق ويَفْري ، وهو ضيّق المَجَم ، قَلَق الوضين ، رابط الجأش ، وهو ألْوى ، بعيد المُسْتَمَرّ ، وهو شَرَّاب بأنقُع ، وهو جذَيلُها المُحَكّك ، وعُذَيقُها المرَجَّب ، وما أشبه هذا من بارع كلامهم ، ومن الإيماء اللطيف ، والإشارة الدالة[٢٣٨]".

وقد ذكر هذا اللون البديعي ابن أبي الإصبع المصري ، وعرفه بقوله:أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بإيماء ، أو لمحة تدل عليه[٢٣٩].

وذكر الإمام السيوطي من الإشارة والإيماء اللطيف بعض الآيات القرآنية ، ولعلها من إيجاز القصر ، أو تجمع بين الاثنين ، حيث قال وهو في صدد حديثه عن الإشارة :" وما في كتاب اللّه تعالى من الخطاب العالي أكثر وأكثر ،كقوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ [٢٤٠] ،و (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ [٢٤١]،

---

[٢٣٨] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٢٥–٣٢٦.

[٢٣٩] – ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر– لابن أبي الإصبع المصري– ص ١٩٧.

[٢٤٠] – من الآية ١٧٣ من سورة البقرة.

[٢٤١]– من الآية ٤ من سورة المنافقون.

(وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّه بِهَا [٢٤٢]) ، و (إِن يَتّبِعُونَ إِلاّ الظّنّ وَإِنّ الظّنّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقّ شَيْئًا [٢٤٣]) ، (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [٢٤٤]) ، وهو أكثر من أن نأتي عليه[٢٤٥]".

هذه الشواهد القرآنية التي ذكرها السيوطي تحت مسمى الإشارة ، تضم بين طياتها كثيرا من المعاني التي تحتاج إلى مئات الأوراق ؛ ليكشف عن تفاصيلها . ولكن هناك تحفظ على بعض الشواهد ، وهو قوله تعالى:" وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ "؛ لأن هذه الآية إن نظرنا إليها من زاوية أخرى نلمح فيها مساواة ، أي الذي يمكر يعود عليه مكره وحده لا إلى أحد سواه ، ولذلك نجد بعض العلماء عدَّ هذه الآية صراحة ضمن المساواة ، ومن هؤلاء الخطيب[٢٤٦]والطاهر بن عاشور[٢٤٧] ومحقق جواهر البلاغة[٢٤٨].

كذلك هناك أمثلة كثيرة ، ذكرها السيوطي تحت مسمى الإشارة ، ولكنها من الاستعارة ، مثل : ، كثرة ذات اليد ، ويد الدّهر ، ومجَّت الشمسُ ريقَها ، ودَرَأ الفيء ، ومَفاصل القول ، وأتى بالأمر من فصّه ، وهو رَحْب العَطَن ، وغَمْرُ الرّداء ،ويَخْلق ويَفْري ، وهو ضيّق المَجَم ....،ولذلك فهي تدخل في علم البيان ، وليس في علم البديع .

الجناس

---

[٢٤٢] – من الآية ٢١من سورة الفتح.
[٢٤٣] – من الآية ٢٨ من سورة النجم .
[٢٤٤] – من الآية ٤٣ من سورة فاطر.
[٢٤٥] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٢٦.
[٢٤٦] – ينظر: الإيضاح – ص ١٩٩– ت/ خفاجي.
[٢٤٧] – ينظر: كتاب موجز البلاغة – للطاهر بن عاشور– ص ٢٩– الطبعة الأولى– المطبعة التونسية– من دون .
[٢٤٨] – ينظر: جواهر البلاغة للهاشمي – ص ٢٠٧.

تحدث عن الجناس في سياق حديثه عن سنن العرب حيث قال :" ومن سنن العرب الفرق بين ضدّين بحرف أو حركة ، كقولهم : يَدْوَى من الداء ويُدَاوي من الدواء ، ويُخْفر إذا نَقض ، من أخفر ، ويخفر إذا أجار ، منْ خَفَر ، ولُعَنَة إذا أكثر اللَّعن ، ولُعْنة إذا كان يُلْعَن ، وهُزَأَة وهُزْأة ، وسُخَرة وسُخْرة([٢٤٩])".

وهذا النوع من الجناس هو الذي سماه البلاغيون بالجناس المحرف،وهو الذي اختلف فيه اللفظان في هيئات الحروف ، أي في الحركات والسكنات([٢٥٠]).

السجع

تحدث الإمام السيوطي عن السجع في محاور متعددة :

المحور الأول: السجع في سياق المترادفات

وكان حديثه عن السجع في هذا المحور مقتضبا ، فلم يزد عن ذكر اسمه فقط ؛ لأنه تحدث عنه في سياق أسباب المترادفات ، حيث قال:" ومنها : التوسُّع في سلوك طُرق الفصاحة ، وأساليب البلاغة في النَّظم والنثر ،وذلك لأن اللفظ الواحدَ قد يتأتَّى باستعماله مع لفظ آخر السَّجْعُ والقافيةُ والتَّجْنيسُ والتَّرصيعُ ، وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتَّى ذلك باستعمال مُرادفه مع ذلك اللَّفظ([٢٥١])".

ومن خلال النص السابق يتبين لنا أن الإمام السيوطي يذكر السجع صراحة ، ويقرنه ببعض الألوان البديعية الأخرى ، مثل الجناس والترصيع.

---

[٢٤٩] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١ ص ٣٣٦.

[٢٥٠] – ينظر: الإيضاح – ص ٤١٠– وخزانة الأدب وغاية الأرب – لابن عبدالله الحموي – جـ١– ص ٨٩– ت/ عصام شعيتو– دار ومكتبة الهلال– بيروت– الطبعة الأولى – ١٩٨٧م – ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص – للعباسي – جـ١ ص ٣٢٩ – ت/ محمد محيي الدين عبدالحميد – عالم الكتب – بيروت – من دون – وبغية الإيضاح – ص ٤٦٣– وجواهر البلاغة – للهاشمي– ٣٢٨.

[٢٥١] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ١– ص ٤٠٦.

المحور الثاني: السجع تحت مسمى الإتباع

تحدث عن السجع في هذا المحور تحت مسمى الإتباع ، حيث ذكر عن ابن فارس في فقه اللغة:" للعرب الإتباعُ، وهو أن تُتْبَع الكلمةُ الكلمةَ على وَزْنها أو رَويّها إشباعًا وتأكيدًا ، ورُوي أن بعضَ العرب سُئل عن ذلك ، فقال : هو شيءٌ نَتدُ به كلامنا .

وذلك قولهم : ساغبٌ لاغب ، وهو خَبٌّ ضَب ، وخَرابٌ يَباب ، وقد شاركت العَجَمُ العرب في هذا الباب ([٢٥٢])".

فالإمام السيوطي يذكر في بداية كلامه ما يفيد مفهوم تعريف السجع ، ثم ذكر علة استخدام العرب لهذا اللون البديعي، وفي نهاية النص صرح بأن العجم تشارك العرب في هذا اللون.

وذكر أيضا ومن الإتباع الذي هو بمعنى السجع – نقلا عن ابن فارس–:" وقال ابنُ فارس في خُطْبَة تأليفه المذكور: هذا كتابُ الإتباع والمُزَاوَجة، وكلاهما على وجهين :

أحدهما : أن تكون كلمتان مُتَواليتان على رَويٍّ واحد .

والوجهُ الآخرُ: أن يختلف الرَّويَّان([٢٥٣])".

وهو بذلك يكون قد قرن السجع بالمزاوجة ، وقسمه إلى وجهين:

الوجه الأول: أن تكون الكلمتان على روي واحد.

الوجه الثاني: أن يختلف الرويان.

ثم علل لسبب تسميته بالإتباع، وأورد بعض الشواهد واعترض عليها ، فقال:"وقال أبو عبيد في غريب الحديث : في قوله – ﷺ– في الشُّبْرم ، إنه حارٌّ يارٌّ . قال الكسائي : حارٌّ من الحرارة، ويارٌّ إتباع، كقولهم: عطْشان نَطْشان،

---

[٢٥٢] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص٤١٤.

[٢٥٣] – المرجع السابق – جـ١– ص ٤١٤.

وجائع نائع، وحَسَن بَسن، ومثْلُه كثيرٌ في الكلام ، وإنما سُمّي إتباعًا؛ لأن الكلمةَ الثانية إنما هي تابعةٌ للأولى على وجْه التوكيد لها، وليس يتكلم بالثانية منفـردةً، فلهذا قيل إتْباع.

قال : وأما حديثُ آدم – عليه السلام – حين قُتل ابْنه ، فمكث مائـة سـنةٍ لا يضحَك ، ثم قيل له : حيَّاك اللّه وبيَّاك .قال : وما بيَّاك ؟ قيل : أضْحَكك. فـإن بعضَ الناس يقول في بيَّاك : إنه إتْباع ،وهو عندي على ما جـاء تفسـيره فـي الحديث إنه ليس بإتباع ؛ وذلك أن الإتباع لا يكادُ يكونُ بالواو ، وهذا بالواو .

ومن ذلك قول العباس في زمزم : هي لشارب حِلّ وبِلّ ، فيقال إنه أيضًا اتباع ؛ وليس هو عندي كذلك لمكان الواو ([٢٥٤])".

ولعل اعتراضه على بعض الشواهد التي قرنت بالواو ، يـوحي أن الـواو تفيـد الاختلاف بين اللفظين ، وهذا من وجهة نظره ليس بالإتباع ؛ لأن الإتباع – عنده – أن تكون الكلمة الثانية تابعة للأولى على وجه التوكيد لهـا ، ولـيس يـتكلم بالثانية منفردة ، فلهذا قيل إتباع.

ثم استرسل في ذكر بعض الشواهد على السجع الذي هو بمعنى الإتبـاع عنـده ، فقال نقلا عن ابن دريد: "قال ابن دُريد في الجمهرة : (باب جمهرة من الإتباع) يقال : هذا جائع نائع ، والنَّائع المُتمايل .قال : مُتـأوّد مثـل القضـيب النَّـائع. وعَطْشان نَطْشان من قولهم : ما به نَطيش أي حركة ، وحَسَن بَسَن .

قال ابنُ دريد : سألت أبا حاتم عن بَسَن فقال : لا أدري ما هو ؟ ومليح قَزيح من القزْح وهو الأبْزار .

وقَبيح شَقيح من شَقَّح البُسْرُ إذا تغيَّرت خُضْرَته ليحمرّ أو ليصفر ، وهو أقبح ما يكون حينئذ .

---

[٢٥٤] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٤١٧.

وشَحيح بَحيح بالباء من البحّة ونَحيح بالنون من نحَّ بحمله .
وخَبيث نَبيث كأنه يَنْبُثُ شَرَّه أي يستخرجه .وشَيطان لَيْطان .
وخَزْيان سَوْآنُ . وعَيٌّ شَوي ، من شوي المال أي رديئه .
وسَيْغٌ لَيْغ ، وسائَغٌ لائغ ، وهو الذي يَسُوغ سهلاً في الحَلْق ، وحارٌّ يَارٌّ ، وحران يَرَّان ، وكَثير بَثير ، وبَذير عَفير ، يوصف به الكثرة ([٢٥٥]) " .
وغير ذلك كثير من الشواهد التي ذكرها في هذا المقام ([٢٥٦]).
ومن الجدير بالذكر : أن هناك أمثلة كثيرة ، ذكرها السيوطي في الإتباع ، ولكنها تدخل في باب الترادف .

المحور الثالث : أسجاع العرب في الأنواء

تحدث الإمام السيوطي في هذا المحور عن السجع- واسترسل في ذكر الشواهد- ،تحت عنوان: أسجاع العرب في الأنواء ، حيث قال نقلا عن ابن قتيبة:"وقال ابن قتيبة في كتاب الأنواء : يقول ساجع العرب : إذا طلع السَّرَطان ، استوى الزمان ، وخضرت الأغصان ، وتهادت الجيران .
إذا طلع البُطَيْن ، اقتُضيَ الدَّيْن ، وظهر الزَّيْن ، واقْتُفي بالغطاء والقَيْن .
إذا طلع النَّجْم – يعني الثريا – فالحرُّ في حَدْم ، العُشْب في حَطْم ، والعانات في كَدْم .
إذا طلع الدَّبَران ، توقَّدت الحزَّان ، وكزهت النيران ، واسْتَعَرت الذّبَان ، ويبست الغُدْران ، ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان.
إذا طلعت الهقْعَة ، تقوض الناس للقُلْعة ،ورجعوا عن النُّجعَة ، وأرْدَفَتْها الهَنْعة .
إذا طلعت الجوزاء ،توقدت المَعْزاء ، وكَنَست الظّباء ، وعرقَت العلْبَاء ، وطاب الخبَاء .

---

[٢٥٥] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٤١٧، ٤١٨.
[٢٥٦] – ينظر : المرجع السابق – جـ١– ص ٤١٨، ٤١٩.

إذا طلعت العُذْرة ، لم يبق بُعَمان بُسْرة ، إلاّ رَطْبة أو تَمرَة .
إذا طلعت الذّرَاع ، حَسَرت الشَّمْسُ القنَاع ، وأشعلتْ في الأفُق الشُّعَاع ، وترقرق السَّرَاب بكل قاع .
إذا طلعت الشّعْرى،نَشف الثَّرى ،وأجَنَ الصَّرَى ، وجعل صاحب النخل يَرَى .
إذا طلعت النَّثْرة ، قَنأت البُسْرة ، وجُنيَ النخل بُكرة ، وأوت المواشي حَجْـرة ، ولم تترك في ذات درٍّ قَطْرة .
إذا طلعت الصَّرْفة ،بكرت الخرفة ، وكثرت الطُّرْفة ، وهانت للضيف الكُلْفَة .
إذا طلعت الجهة ،تحانّت الولَهَه ،وتنازَتْ السَّفَهه ،وقلت في الأرض الرَّفَهه.
إذا طلعت الصَّرْفة ، احتال كل ذي حرْفة ، وجَفر كُلُّ ذي نطفة ،وامْتَيَز عن المياه زُلْفة .
إذا طلعت العَوَّاء ،ضُربَ الخبَاء ،وطاب الهَواء ،وكُره العَراء ،وشَنَّنَ السّـقَاء إذا طلع السّماك ، ذهب العكَاك ، وقل على الماء اللّكَاك .
إذا طلع الغَفْر ، اقشعر السَّفْر ، وتَربَّل النَّضْر ، وحَسُن في العين الجمر .
إذا طلعت الزُّبَانا ، أحدثت لكل ذي عيال شَانا ،ولكل ذي ماشية هَوانا ، قـالوا : كان وكانا ، فاجمع لأهلك ولا توانى ([٢٥٧]) ". وغير ذلك كثير من الشواهد ([٢٥٨]) .

المحور الرابع: السجع تحت مسمى المحاذاة

ثم تحدث عن السجع تحت مسمى المحـاذاة ، فقـال:"ومن سـنن العـرب المُحاذاة ، وذلك أن تجعل كلامًا ما بحذاء كلام ، فيُؤْتى به على وزنه لفظًا ،وإن كانا مختَلفين ، فيقولون : الغَدَايا والعَشايا .فقالوا : الغَـدَايا ، لانضـمامها إلـى العَشايا .ومثلُه قولهم : (أعوذُ بك من السامَّة واللامّة) فالسـامَّة مـن قولـك :

[٢٥٧] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ٢– ص ٥٢٨، ٥٢٩.
[٢٥٨] – ينظر : المرجع السابق – جـ٢– ص ٥٢٩، ٥٣٠.

سمَّت إذا خصَّتْ ، واللاّمّة أصلها من ألمَّت ، لكن لَما قُرنت بالسامَّة جُعلتْ في وزنها .

قال : وذكر بعضُ أهل العلم أن من هذا الباب كتابه المصحف ، كتبوا : (وَاللّيْلِ إِذَا سَجَى[٢٥٩]) ، بالياء ، وهو من ذوات الواو ، لمَّا قُرن بغيره ممَّا يُكْتَب بالياء .

قال : ومن هذا الباب قوله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ [٢٦٠]) ، واللام في (لسلطهم) جواب لو .

ثم قال : (فَلَقَاتَلُوكُمْ [٢٦١]) ، فهذه حُوذيتْ بتلك اللام ،وإلا فالمعنى لسلَّطهم عليكم فقاتلوكم .

ومثلُه : (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ[٢٦٢]) . فهما لاما قَسَم ثم قال : (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي[٢٦٣]) ، فليس ذا موضع قسم؛ لأنه عُذْر للهُدْهد ، فلم يكن ليُقْسمَ على الهدهد أن يأتيَ بُعذْر ، لكنّه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجْراه مَجْراه ، فكذا باب المحاذاة ([٢٦٤])" .

الألغاز

و من الجدير بالذكر: أن هذا اللون البديعي تعرض له ابن أبي الإصبع ، وذكره تحت باب : الألغاز والتعمية ، وسماه المحاجاة أيضا، وذكر أن التعمية أعم أسمائه ، وعرفه بقوله :أن يريد المتكلم شيئا فيعبر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره، وباطنها عليه ، وهو يكون في النثر والشعر([٢٦٥]).

---

[٢٥٩] – الآية ٢ من سورة الضحى.
[٢٦٠] – من الآية ٩٠ من سورة النساء.
[٢٦١] – من الآية ٩٠ من سورة النساء.
[٢٦٢] – من الآية ٢١من سورة النمل.
[٢٦٣] – من الآية ٢١من سورة النمل.
[٢٦٤] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٣٩، ٣٤٠.
[٢٦٥] – ينظر: تحرير التحبير – ص ٥٧٩.

وقسمه السيوطي في كتابه المزهر إلى ثلاثة أنواع ، فقال :"وهي أنواع :ألغاز قصدتها العربُ ، وألغازٌ قصدَتها أئمة اللغة ، وأبيات لم تَقْصد العرب الإلغاز بها ، وإنما قالتها فصادف أن تكون ألغازًا ([٢٦٦])".

ثم قسم النوع الأخير منها – وهو الأبيات التي لم تقصد العرب الإلغاز بها ، وإنما قالتها فصادف أن تكون ألغازا – إلى نوعين ،فقال :" وهي نوعان : فإنها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها ، وأكثرُ أبيات المعاني من هذا النوع ، وقد ألّف ابن قتيبة في هذا النوع مجلّدًا حسنًا ، وكذلك ألّف غيره ، وإنما سموا هذا النوع أبيات المعاني ؛ لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها ولا تفهم من أول وَهْلة ، وتارة يقع الإلغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب ([٢٦٧]) " .

ثم بدأ في التمثيل لهذه الأنواع ، فقال :" ونحن ذاكرون من كل نوع .... عدّة أمثلة على غير ترتيب :

فمن الأبيات التي قصدت العربُ الإلغاز بها :

قال القالي في أماليه أنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال أنشدنا أبو العباس ثعلب :

ولقد رأيتُ مطيَّةً معكوسةً ∴ تَمْشي بَكَلْكَلِها وتُزْجيها الصَّبا

ولقد رأيت سبيئة من أرضها ∴ تَسْبي القلوب وما تنيبُ إلى هَوَى

ولقد رأيت الخَيلَ أو أشباهها ∴ تُثْنَى مُعَطَّفَةً إذا ما تُجْتَلَى

ولقد رأيت جَوَاريا بمَفازة ∴ تجري بغير قوائمٍ عند الجرا

ولقد رأيت غَضَيضةً هرْكَوْلة ∴ رُودَ الشّباب غريرة عادت فَتى

ولقد رأيت مكَفَّرًا ذا نعمةٍ ∴ جَهَدوه في الأعمال حتى قَد وَنَى

---

[٢٦٦] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٥٧٨.

[٢٦٧] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٥٧٨.

قال ثعلب : أراد بالمطية : السفينة .وبالسبيئة : الخمر .وبالخيل : تصاوير في وسائد .وبالجواري : السَّرَاب .وبالمكفّر السيف .(والغضيضة الهركولة : امرأة) ، وقوله : عادت فتى : من العيادة .

وقال القالي: حدّثني أبو بكر بن دريد : أن أبا حاتم أنشدهم عن أبي زيد :

وزَهـــرَاء إن كَفَّنْتُهـــا فهْـــوَ عَيْشُـــها ∴ وإن لم أكفّنْهـــا فمـــوتٌ مُعَجَّـــل

يعني النار ، وهي زَهْراء أي بيضاء تَزْهر ، يقول : إن قـدَحْتُها فخرجـت فلـم أُدْركها بخرْقة أو غير ذلك ماتت .

وقال القالي: قرأت على أبي عمر عن أبي العباس أن ابن الأعرابي أنشدهم:

أَلْقَـــتْ قَوائمَهـــا خَسَّـــا وتَرَنَّمَـــتْ ∴ طَرَبـــاً كمـــا يَتَـــرَنَّمُ السَّـــكْرَان

يعني القدْر ، (وقوائمها) : الأثافيّ (وخسا) : فَرْد .

وأنشد الجوهريّ في الصحاح :

ومـــا ذكـــرٌ فـــإنْ يَكْبُـــر فـــأُنثى ∴ شـــديدُ الأَزْم لـــيس بـــذي ضُـــرُوس

قال : هو القُرَاد ، لأنه إذا كان صغيرًا كان قرادًا ، فإذا كبر سمي حَلَمة .

وأنشد الجوهريّ – على أن الأُدعية مثل الأُحْجية :

أُدَاعيـكَ مـا مُسْـتَحْقَباتٌ مـع السُّـرَى ∴ حســـانٌ ومـــا آثـــارهنَّ حســـان

قال : يعني السيوف .

وفي الصحاح قال الكميت :

وذات اسمَـــين والألـــوانُ شـــتَّى ∴ تُحَمَّـــق وهـــي كَيّسَـــة الحَويـــل

أراد الأنوق ، وقال ذات اسمين ؛ لأنها تسمى الأنوق والرَّخمة ، وأراد بقولـه : كيّسة الحَويل : أنها تحرز بيضها فلا يكاد يُظْفَر به ، لأن أوكارهـا فـي رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ، وهي تحمّق مع ذلك(٢٦٨)".

---

٢٦٨ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٥٧٩، ٥٨٠.

وهناك كثير من الشواهد ذكرها الإمام السيوطي في هذا السياق ، فضلنا عدم ذكرها خشية الإطالة([٢٦٩]).

ثم مثل للنوع الثاني من أنواع الألغاز ، فقال :" ومن أبيات المعاني قول حسان ﷺ :

أتانا فلم نَعْدلْ سواه بغيره ∴ نبيّ أتى في ظُلْمَة الليل هاديا

فيقال : سواه : غيره فكأنه قال فلم نعدل غيره بغيره ! ، والجواب أن الهاء في غيره للسوى ، فكأنه قال : فلم نعدل سواه بغير السوى وغير سواه هو نفسه عليه الصلاة و السلام ، فكأنه قال : فلم نعدل سواه به ، كذا خرجه الإمام جمال الدين بن هشام .قال الشيخ بدر الدين الزركشي في كراسة سمّاها عمل من طب لمن حب : ولا حاجة إلى هذا التكلّف ، فإن سواه في هذا البيت بمعنى نفسه ، نصّ على ذلك الأزهري في التهذيب ، وأنشد عليه البيت ، ونقله عنه وأقرّه عليه الشيخ جمال الدين ابن مالك في كتاب المقصور والممدود.

ومن أبيات المعاني قول الأول في رجل طُفَيليّ :

أراك تظهر لي ودًّا وتكرمني ∴ وتستطير إذا أبصرتني فرحا

وتستحلّ دمي إن قلت من طرب ∴ يا ساقي القوم باللّه اسقني قدحا

ومن أبيات المعاني قول ابنُ دُريد أنشدني أبو عثمان الأشناندانى :

ومحجوبة أزْعَجْتها عن فراشها ∴ تحَامَى الحوامي دونها والمناكب

وخَفَّاقة الأعْطاب باتت معانقي ∴ تُجاذبني عن منُزَري وأُجاذَب

قال الأشناندانى : يصف عُقابًا صعد إلى موضع وكرَها ، والحوامي : أطراف الجبل .والمناكب : نوَاحي الجبل .والخفّاقة : يعني الريح ، يقول : رَبأ لأصحابه فالرّيح تُجاذبه عن مئْزره وهو يُجاذبها .

---

[٢٦٩] – ينظر: المرجع السابق – جـ١– ٥٨٠– ٥٨٢.

وأنشد أيضاً :

وشَـــعْثاءَ غَبْـــرَاء الفـــروع مُنيفـــة ∴ بهـــا تُوصَـــفُ الحســـناءُ أو هـــي أجْمَـــلُ

دعـــوتُ بهـــا أبنـــاءَ ليـــل كـــأنهم ∴ وقـــد أبصـــروها – مُعطشـــون قـــد انْهلـــوا

قال أبو عثمان : يصفُ نارًا ، جعلها شَعْثاء ؛ لتفرّق أعاليها ، كأنها شـعثاء الرأس وغبراء يعني غبرة الدخان ، وقوله : بها توصف الحسناء ، فإن العـرب تصف الجارية ، فتقول : كأنها شعلة نار ، وقوله : دعوت بها أبناء ليلي ، يعني أضيافًا دعاهم بضوئها ، فلما رأوها كأنهم من السرور بها معطشون قـد أوردوا إبلهم .

ومن أبيات المعاني قول الراعي :

قتلـــوا ابـــنَ عفّـــان الخليفـــة مُحْرِمًـــا ∴ وَدَعـــا فلـــم أرَ مثلـــه مَخْـــذُولا

روى العسكري في كتاب التصحيف : أن الرشيد سأل أهلَ مجلسه عن هذا البيـت ، فقال : أي إحرام هذا ، فقال الكسائي : أراد أنه أحْرم بالحج ،

فقال الأصمعي : واللّه ما أحرم ولا عَنى الشاعر هذا ، ولو قلت : أحرم دخل فـي الشهر الحرام كما يُقال : أشهر : دَخل في الشهر كان أشبه ،

قال الكسائي: فما أراد بالإحرام؟ قال: كل من لم يأت شيئًا يستحلّ به عقوبته فهو مُحْرِم، خبّرني عن قول عدي بن زيد :

قتلـــوا كســـرى بليـــلٍ مُحْرِمًـــا ∴ فتـــــولَّى لم يُمتَّـــــع بكَفَـــــنْ

أيّ : إحرام كان لكسرى ، فسكت الكسائيّ : فقال الرشيد : يا أصمعي ما تطـاقُ في الشعر .

وفي أمالي الزجاجي في البيت قولان : أحدهما : المحرم الممسك عن قتاله ، قاله أبو العباس المفضل بن محمد اليزيدي . فقيل للمفضل : أعندك فـي هـذا شـعر

جاهلي ، قال : نعم أنشدني محمد بن حبيب لأخضر بن عباد المازني وهو جاهلي : (من)

فلست أراكم تُحْرمون عن التي ... كَرِهْتُ ومنها في القلوب نُدُوب

والثاني : أن المراد في الشهر الحرام ؛ لأنه قتل في أيام التشريق ، وبه جَزَم المبرّد في الكامل([٢٧٠]) ".

ثم مثل لنوع آخر ، فقال :" ومن الأبيات التي وقع الإلغاز بها من حيث اللفظ ، والتركيب ، والإعراب : قال القالي في أماليه ، أنشدنا أبو بكر بن الأنباري ، قال أنشدنا أبو العباس ثعلب للفرزدق :

يُفَلّقْن ها مَنْ لم تَنَلْه سُيوفنا ∴ بأسيافنا هامَ الملوك القماقم

قال ثعلب: ها، حرف تنبيه، ومن استفهام، قال مستفهما: مَنْ لم تنله سيوفنا، وتقدير البيت : يفلّقن بأسيافنا هام الملوك القماقم .

قال أبو بكر : وسمعتُ شيخنا يعيب هذا الجواب ، ويقول : يفلّقن هامًا ، جمع هامَة ، وهامُ الملوك ، مردّودُ على (هامًا)، كقوله تعالى : (إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ ([٢٧١]) .

قال أبو علي رحمه اللّه : فاحتججتُ عليه بقوله : لم تَنَلْهُ ، وقلت : لو أراد الهامَ لقال : لم تنلها ؛ لأن الهام مؤنثة لم يُؤَثْر عن العرب فيها تذكير ، ولم يقل أحدٌ منهم : الهامُ فَلَقْتُه كما قالوا : النخلُ قطعتُه والتذكيرُ والتأنيثُ لا يعْمَل (فيه) قياسًا إنما يُبنى فيه على السماع واتّباع الأثر .

ومن ذلك قوله :

عافت الماءَ في الشتاء فقلنا ∴ برّديه تُصادفيه سَخينا

---

[٢٧٠] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١ – ص ٥٨٢، ٥٨٣.

[٢٧١] – من الآيتين ٥٢، ٥٣ من سورة الشورى.

فيقال : كيف يكون التبريد سببًا لمصادفته سخينًا ؟ وجوابه ، أن الأصل بلْ رديه ، ثم كتب على لفظ الإلغاز ([٢٧٢])".

ثم استشهد للنوع الأخير ، فقال :" وأما إلغاز أئمة اللغة ، فالأصل فيه ما قاله أبو الطيب في كتاب مراتب النحويين : حدّثنا عبد القدوس بن أحمد ، حدثنا أحمد بن يحيى ، قال : حدثني جماعة عن الأصمعي عن الخليل ، قال : رأيتُ أعرابيًّا يسألُ أعرابيًا عن البَلَصُوص ما هو ؟ فقال : طائر .

قال : فكيف تجمعه ؟ . قال : البَلَنْصَى . قال الخليل : فلو ألغز رجل فقال :

ما البَلَصُوص يَتْبَعُ البَلَنْصى ، كان لغزاً ([٢٧٣])".

وفي نهاية حديثه تعرض لمحاسن الألغاز ، فقال :" ومن محاسن الألغاز ما رأيت في ديوان رسائل الشريف أبي القاسم على بن الحسين المصري من تلامذة ، أبي أسامة اللغوي ، جمع تلميذه عبد الحميد بن الحسين ، قال : لوما مَضتْ أيام من مقامه بواسط حضره في جملة من كان يَغْشَاهُ لمشاهدَة فَضْله ، وبراعة أدبه ، عند انتشار ذِكْرِه رجلٌ يُعرف بأبي منصور بن الربيع من أهل الأدَب ، وأحضره قصيدة قد بُنيت على السؤال عن ألفاظ من اللغة على جهة الامتحان لمعرفته ، وهي :

يا أفضل الأدباء قَوْلاً ∴ لا تعارضه الشُّكوكْ
وابن الجحاجحة الذين ∴ نَمَت مساعيهم مُلوك
لا العلم نابٍ عن جحاك ∴ إذا نطقتَ ولا تَرُوك
عرضَتْ مسائلُ أنت للْفَتْوَى ∴ بمُشْكلها دَرُوك
ما الحيُّ والحيُّوت أو ∴ ما جلْبح نضْو بروك

---

[٢٧٢] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٥٨٦– ٥٨٨.
[٢٧٣] – المرجع السابق– جـ١– ٥٩١.

أم مـــا تـــرى في برْقَـــع ∴ رقشـــاء محصـــدها حبيـــك
أم مـــا الصَّـــرَنْقَح والرّزيـــز ∴ ومـــا المُلَمَّعـــة النَّهـــوك
ولـــك الدّرايـــة مـــا البصـــيرة ∴ في مـــداحيها السَّـــهوك
وأبـــنْ لنـــا مـــا خطمـــط ∴ أبـــداً بأمْرَغـــه مَعيـــك
أم مـــا اغتنانـــة فَوْهـــد ∴ فيـــه الملامـــة لا تحيـــك
أم مـــا تـــرى في مُطْرَهـــفّ ∴ حُبّـــه حـــب نهيـــك
أم مـــا تقلّـــب قلْفَـــع ∴ في كـــف عُكْمـــوز تَحيـــك
أم مـــا تَوَقَّـــل هَبْـــرَج ∴ يَرْتَـــبّ مَرْسـنه هَلـــوك
ولـــربَّ ألفـــاظٍ أتتـــك ∴ وفي مَطاويهـــا حلـــوك
فـــارفق بنَشْـــرك طيَّهـــا ∴ وانظـــرْ بـــذَوقك مـــا تَلـــوك
هـــذا وقـــد لَـــذمت فـــؤادي ∴ خرْمـــل هـــرْط ضـــحوك
دعْكنّـــة نظْرَنّـــة ∴ في خـــيس غانطهـــا شَـــبوك
تَغْـــدُو وخربعهـــا المـــذَيَّل ∴ في طرائفـــه سَـــدُوك
وأراكَ مالـــك مُشـــبهٌ ∴ فيمـــا علمـــتُ ولا شـــريك
حقّـــاً لقـــد حُـــزْت العلـــومَ ∴ حيـــازَةَ العـــدم الضَّـــريك

نسخة الجواب

كتبـــه لوقتـــه مُقْتضـــبًا ∴ واســـتنابني فيـــه محـــرّرًا :

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، اللهم إنّا نحمدك على تمْحيص البَلوَى ، كما نعوذُ بك من إطغاء النّعما ، ونَسْألك أن تجعل ثوابَ أقلّ حسناتنا لدَيك ، كمـا نسـألك أن توجّهَ بعوائد الشكر وسائلَنا إليك ، ونَرْغَبُ إليك في حُسن المعرفة بعيوبنا مـن مَعْصيتك ، كما نَسْتَوْهبك غضَّ الأبصار عن عيـوب إخواننـا فـي طاعتـك ،

ونَسْتَرْزِقك إلهامًا لما في العَبَث من تضييع الأصول ، ولما في سرعان القَوْل من عصْيان العقول ، ونجتدي فَضْلك أن تسلّمنا وتُسَلّم منا ، وتشغلنا بعبادتك ، وتشغلنا أهل الخَطَل عنّا ، متوجّهين بإخْلاص اليقين ، والصلاة على سيدنا محمد النبيّ وآله الطاهرين .

وقفتُ على ما كتبتَ به ، وذكرتَ أن بعض أهل الأدب كلّفك المسألة عنه ، وأعلمتني توجّه ظنّك في إبانة مشكله ، وإيضاح سُبُله ، وتأملتُه فوجدتُه شعرًا لا أحب أن أقول في صناعته شيئاً مشتملاً على ألفاظٍ من حوشيّ اللغة لا يتشاغلُ بمثلها أهل التحصيل ، ولا يتوفّر على طلبها إلا كلّ ذي تأمّل عليلٍ، لخروجها عما ينفعُ في الأديان ، ويعترض في تفسير القرآن ، ولمباينتها ما تجري به المذاكرة ، وتُسْتَخدم فيه المحاورة ، وزاد في عجبي منها صدورُها عن النطيحة ، وفيها من الأستاذ الفاضل أبي القاسم هبة اللّه بن عيسى أدام اللّه تأييده بحر الأدب الذي عَذُبت موارِدُه ، وشهاب العلم الذي التهبت مَطالعُه ، وريّ العقول الظّماء ، وطبّ الجهل المُسْتفحل الدّاء ، والباب الذي يفتح عن الدهر تجربةً وعلماً ، والمرآة التي تتصفح بها أوجه الأنام إحاطةً وفهمًا ([٢٧٤]).

[٢٧٤] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٥٩١–٥٩٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الأعمال الصالحات ، والصلاة والسلام على من أُوتي أفصح اللغات وأبلغ الآيات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلي يوم الدين.

وبعد

فقد أسفرت هذه الرحلة التي سعدنا فيها بصحبة الإمام السيوطي عن نتائج ، كان أهمها:

أولا: أن " كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، المنسوب إلى الإمام السيوطي، يحمل كثيرا من المسائل البلاغية المتناثرة في طياته ، والتي كانت تستوجب منا أن نقف حيالها مخرجين ومصنفين ومعقبين ؛ لنظهر بلاغته التي غفل عنها كثير من الباحثين.

ثانيا: إن عدم تصنيف الإمام السيوطي ضمن علماء البلاغة فيه غبن بين لجهوده البلاغية المتناثرة في ثنايا كتبه الجمة التي تحتاج إلى من ينقب عنها ويخرجها إلى المكتبات البلاغية ؛ ليستفيد منها الدارسون.

أضف إلى ذلك : أن الإمام السيوطي له مؤلفات كثيرة في صميم البلاغة العربية ، حيث ذكر بعض الدارسين، أن مؤلفات السيوطي في البلاغة " ستة مؤلفات" ، وهي:

١- البديعية تسمى : نظم البديع في مدح الشفيع .

٢- شرحها .

٣- الجمع والتفريق بين الأنواع البديعية .

٤- ألفية تسمى : عقود الجمان في المعاني والبيان .

٥- شرحها يسمى حل العقود .

٦- النكت على تلخيص المفتاح ([٢٧٥]).

وهناك بعض الدارسين ، قال: إن مؤلفات السيوطي في البلاغة " تسعة مؤلفات" ، وهي:

١- جني الجناس في فن البديع والاقتباس .
٢- شرح أبيات تلخيص المفتاح.
٣- الإفصاح (نكت) على تلخيص المفتاح.
٤- مفتاح التلخيص.
٥- الجمع والتفريق في أنواع البديع.
٦- نكت على حاشية المطول لابن الفنري.
٧- تخريج أبيات التلخيص .
٨- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان.
٩- النكت على التلخيص ([٢٧٦]).

في حين أننا نجد بعض الدارسين يذكر أنها ثلاثة عشر مؤلفا ، وهي:

١- أحاسن الاقتباس في محاسن الاقتباس.
٢- الإفصاح على تلخيص المفتاح.
٣- الجمع والتفريق في الأنواع البديعية.
٤- جناس الجناس.
٥- حل عقود الجمان.
٦- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان.
٧- عقود الجمان في المعاني والبيان.
٨- قطع الدابر من الفلك الدائر.

---

[٢٧٥] - ينظر: فهرس مؤلفات السيوطي – لعلي بن أحمد الحمصي-- ص ٢٤١.
[٢٧٦] - ينظر: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي- إياد الطباع- ص ٢١٢.

٩- مختصر المفتاح.

١٠- مفتاح التلخيص (نظم فيه تلخيص المفتاح).

١١- نظم البديع في مدح خير شفيع.

١٢- النكت على التلخيص.

١٣- نكت على حاشية المطول لابن الفنري([٢٧٧]).

وبعد كل هذه الجهود البلاغية المتناثرة بين ثنايا كتبه، والمؤلفات البلاغية الخاصة ، ألا يستحق الإمام السيوطي أن يدرج في قائمة البلاغيين؟.

ثالثا: اعتمد الإمام السيوطي في كثير من مسائله البلاغية – في كتابه المزهر- على النقول من كلام السابقين، وهذا لا يقلل من جهده وعلمه ؛ لأنه كان يقف كثيرا أمام هذه النصوص يحلِّلها بذوقه الرفيع ، وحسه البلاغي المتمرَّس .

هذا بالإضافة إلى أن نقله لنصوص العلماء فيه دلالة واضحة ، وإشارة بينة على رهافة حسه، وحسن اختياره .

كما أن الإمام السيوطي وإن كان ناقلا في كثير من الأحيان لآراء غيره، فإن ذلك لا يقلل من شأنه ؛ لأن طريقته هذه تعد اليوم من طرق البحث العلمي، حيث يجمع المادة العلمية الموثقة ويقدمها لقرآئه ، مما يوفر عليهم الرجوع إلى كثير من الكتب التي قد يصعب الوصول إليها.

أضف إلى ذلك: أن هذه الطريقة تمتاز بأنها تجمع للقارئ الكريم آراء العلماء المتعددة- المتناثرة بين ثنايا كتبهم- في مكان واحد ؛ ليقارن بينها ، ويصطفي منها ما يشاء، ويقدم لنا رأيا جديدا من خلال هذه الآراء التي جاءت إليه على طبق من ذهب.

---

[٢٧٧] – ينظر: مكتبة الجلال السيوطي – أحمد الشرقاوي إقبال- ص ٥٦ ، ٨٣ ، ٢٧٦ ، ٢٥٥، ٢٣٢ ، ١٨٢ ، ١٦٦.

ولا ننسى أن ذلك يدل على قراءاته الواسعة ، واطلاعاته المتنوعة ، وثقافته المتعددة. وأخيرا يكفيه أنه قدم لنا البلاغة جاهزة ،ومجموعة بين أيدينا.

رابعا: لوحظ من خلال الدراسة – في القليل النادر – ،أن الإمام السيوطي ربما يظن به من النظرة الأولى أنه يخلط بين الألوان البلاغية ، وذلك عندما ينسب التشبيه إلى المجاز([٢٧٨])، كذلك خلطه بين علاقات المجاز العقلي والمجاز المرسل([٢٧٩]) ، ولكن أثبتت الدراسة أن له مقاصد أخرى من وراء كلامه هذا ، ذكرت في موضعها مما يغني عن إعادتها.

خامسا: أثبتت الدراسة أن الإمام السيوطي في بعض الأحيان كان يكتفي بنقل كلام العلماء دون أن يعقب عليه ،– ولعل في ذلك إشارة إلى احترام عقل القارئ ، حيث يترك له حرية الاختيار – ، ومن أمثلة ذلك ما نقله عن الحقيقة والمجاز ، حيث نقل عن ابن فارس: أن الحقيقة هي أكثر كلام العرب([٢٨٠]) ، وعندما تعرض للمجاز، نقل عن ابن جني قوله : أن المجاز هو أكثر كلام العرب([٢٨١]) .

كذلك عندما تحدث عن مقياس الفصاحة ، نقل في البداية أن المقياس هو كثرة استعمال العرب لها ([٢٨٢])،ثم بعد ذلك صرح بأن كثرة الاستعمال ليست دليلا واضحا على الفصاحة وقلة الاستعمال ليست دليلا واضحا على عدم الفصاحة ، وقال نقلا عن بعض العلماء:" وليست الفصاحة في كثرة الاستعمال ولا قلته([٢٨٣])".

سادسا: جاء حديث الإمام السيوطي عن البلاغة في كتابه " المزهر"، متناثرا بين ثنايا كلامه عن اللغة ، ولم يفرد له أبوابا خاصة إلا في القليل النادر، ومن أمثلة

---

[٢٧٨] – ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ص ٣٧، ٣٨.
[٢٧٩] – ينظر: المرجع السابق – جـ١– ص ٣٣٧.
[٢٨٠] – ينظر: المرجع السابق – جـ١– ٣٥٥.
[٢٨١] – ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جـ١– ٣٥٧.
[٢٨٢] – ينظر: المرجع السابق – جـ١– ص ١٨٥– ١٨٧.
[٢٨٣] – المرجع السابق – جـ١– ص ٢٠٨.

ذلك النوع التاسع من كتابه جاء تحت عنوان : معرفة الفصيح ، والنوع الرابع والعشرون : الحقيقة والمجاز .

سابعا : ثبت من خلال الدراسة – وهذا كثير جدا– أن الإمام السيوطي لم يستوف لونا بلاغيا في مكان واحد – ويلتمس له العذر في ذلك ؛ لأنه لم يكن بصدد حديث صريح عن البلاغة – ، وإنما كان يعمل على ذكره في مواطن متفرقة من كتابه " المزهر "، وهذا كان من الصعوبات التي واجهت هذه الدراسة ، مما كان يتطلب منها جمع هذه الأجزاء المتناثرة بين ثنايا كتابه المكون من جزأين ، لتقديمها للقارئ في مكان واحد ، مما استوجب عليها تقسيم اللون البلاغي إلى محاور متعددة ، كما ظهر ذلك جليا من خلال الدراسة.

ثامنا: أثبتت الدراسة أن كون السيوطي يتحدث عن البلاغة في كتابه " المزهر"، المصنف بأنه كتاب لغة ، فهو بذلك يريد أن يقرر لنا حقيقة ، ربما تكون غائبة عن أذهان البعض ، وهي وجوب ارتباط البلاغة بغيرها من العلوم الأخرى ، وهذا يؤكد العلاقة الوثيقة واللحمة القوية بين علوم العربية ، التي يتضافر بعضها مع بعض لتحقيق الغرض المنشود من ورائها ، وهو خدمة كتاب الله – سبحانه وتعالى–.

تاسعا: أثبتت الدراسة أن الإمام السيوطي في كتابه " المزهر"، تحدث عن علوم البلاغة الثلاثة بأغلب فروعها وفنونها، مما يوحي ويدلل على غزارة علمه وكثافة ثقافته الذي صرح بها وقال:" رُزقتُ التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ،والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا طريقة العجم وأهل الفلسفة([٢٨٤])".

[٢٨٤] – إسعاف المبطأ برجال الموطأ– جـ١– ص ٧.

عاشرا: أثبتت الدراسة أن الإمام السيوطي – من خلال كتابه المزهر– أخرج الألوان البلاغية من حدود الدراسة النظرية إلى حدود الدراسة التطبيقية التي تهتم بالأمثلة والشواهد ، وتحليلها تحليلا بلاغيا ، حيث أطنب القول في كثير من الشواهد ؛ ليخرج البلاغة من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي.

أما وصيتي : فأتقدم بها إلى إخواني أهل البلاغة والنقد ، وأقول لهم : تنبهوا إلى ميراث الإمام السيوطي البلاغي المتناثر بين ثنايا كتبه ، وأخرجوه إلى النور ؛ إنصافا له وللعلم، فهذا الميراث يحتاج إلى كثير من الدراسات البلاغية ، لأنه من المفيد لمكاتبنا البلاغية أن ينضم إليها تراث الإمام السيوطي البلاغي، فإنه سيؤدي إلى إثرائها.

والله أعلم وأعلى.

فهرس المصادر والمراجع

١- اتفاق المباني وافتراق المعاني – لأبي الربيع سليمان تقي الدين المصري- -ت/ يحيي عبد الرؤوف جبر- دارعمار- عمان- الطبعة الأولى-١٩٨٥م.

٢- الإتقان في علوم القرآن – ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٣- الاجتياز إلى أسرار المجاز- لمحمود الجيزي- من دون .

٤- أحكام القرآن – لابن العربي – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – من دون .

٥- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول – للشوكاني – ت/ الشيخ أحمد عزو عناية – دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م .

٦- أسرار البلاغة- للإمام عبد القاهر الجرجاني- ت/ محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة – الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ- ١٩٩١م .

٧- إسعاف المبطأ برجال الموطأ – للسيوطي- - ت/ موفق فوزي جبر- دار الهجرة- بيروت- من دون.

٨- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز- لبديع الزمان سعيد النورصي – ت/إحسان قاسم الصالحي- تقديم / د/ محسن عبد الحميد – من دون.

٩- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – للرافعي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة التاسعة – ١٣٩٣ه- ١٩٧٣م .

١٠- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي- إياد خالد الطباع- - دار القلم- معلمة القلم الإسلامية- الطبعة الأولى- من دون.

١١- الإيضاح للخطيب القزويني – تحقيق / خفاجي- مكتبة المعارف-الطبعة الأولى- ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.
١٢- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة – لعبد المتعال الصعيدي – مكتبة الآداب – الطبعة التاسعة – ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .
١٣- البيان عند الشهاب الخفاجي في كتابه " عناية القاضي وكفاية الراضي " القسم الثاني – في المجاز المرسل – أ.د/ فريد محمد بدوي النكلاوي – مطبعة الأمانة – شبرا – مصر- ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١٤- التحدث بنعمة الله –للسيوطي- مراجعة هيثم خليفة طعيمي- المكتبة العصرية – صيدا- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ.
١٥- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر- لابن أبي الإصبع المصري- ت/ د/ حفني محمد شرف- لجنة إحياء التراث الإسلامي .
١٦- التعريفات – لعلي بن محمد الجرجاني – ت/ إبراهيم الإبياري- دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة الأولى – ١٤٠٥ ه.
١٧- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)- تأليف / محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية – ت/ مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية – بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان- دار ومكتبة الهلال – بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٠هـ.
١٨- جواهر البلاغة – ت/ د/ يوسف الصميلي- المكتبة العصرية- ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
١٩- جواهر البلاغة – للهاشمي – ت/ محمد رضوان مهنا- مكتبة الإيمان- الطبعة الأولى -١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٠- حاشية ابن التمجيد – ضمن حاشية القونري على تفسير الإمام البيضاوي – تأليف :إسماعيل بن محمد الحنفي – ت/ عبدالله محمد محمد عمر- دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – من دون.
٢١- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان- من دون.
٢٢- حسن المحاضرة – للسيوطي- ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الأولى- ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
٢٣- خزانة الأدب وغاية الأرب – لابن عبدالله الحموي – ت/ عصام شعيتو- دار ومكتبة الهلال- بيروت- الطبعة الأولى – ١٩٨٧م .
٢٤- الخصائص – لابن جني – ت/ محمد على النجار- عالم الكتب – بيروت- من دون .
٢٥- الدرر السنية في الأجوبة النجدية- تأليف:علماء نجد الأعلام-ت/عبدالرحمن بن محمد بن قاسم- الطبعة السادسة – ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.
٢٦- دلائل الإعجاز- للإمام عبدالقاهر الجرجاني- ت/ محمود محمد شاكر- مكتبة الخانجي بالقاهرة- الطبعة الخامسة- ١٤٢٤هـ٢٠٠٤م.
٢٧- رسائل وفتاوى العلامة أبي بطين -- دار العاصمة – الرياض- الطبعة الثالثة – ١٤١٢هـ .
٢٨- سر الفصاحة - لابن سنان الخفاجي ـــ دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – ١٩٨٢م.
٢٩- سنن أبي داود – تأليف / سليمان بن الأشعث الأزدي " أبو داود " – ت/ شعيب الأرناؤوط وآخرون – دار الرسالة العالمية – الطبعة الأولى – ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩م .

٣٠- سنن الترمذي – تأليف / محمد بن عيسي الترمذي – ت/ أحمد شـــاكر – ومحمد فؤاد عبدالباقي – وإبراهيم عطوة عوض – دار نشر مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثانية – ١٣٩٧ه – ١٩٧٧م .

٣١- صحيح البخاري – لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري – اعتنى به : عماد الطيار – وياسر حسن – مؤسسة الرسالة – من دون .

٣٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته – للألباني – المكتب الإسلامي – الطبعـــة الثالثة – ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م .

٣٣- صحيح مسلم – تأليف : مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري – ت/نظر بن محمد الفاربابي أبو قتيبة – دار طيبـــة – الطبعـــة الأولـــى- ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م .

٣٤- طبقات المفسرين / المؤلف : محمد بن على بن أحمد الداوودي / تحقيق : سليمان بن صالح الخزي / الناشر : مكتبة العلـــوم والحكـــم – المدينـــة المنورة / الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م.

٣٥- طبقات المفسرين – للسيوطي – ت/ على محمد عمر- مكتبـــة وهبـــة – ١٣٩٦هـــ- ١٩٧٦م .

٣٦- الطراز- للعلوي- ت/ عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية – الطبعة الأولى- ٢٠٠٢م .

٣٧- عقود الجمان في علم المعاني والبيان – للسيوطي- ت/ عبد الحميد ضحا – دار الإمام مسلم للطباعة والنشر – القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤٣٣هـــ- ٢٠١٢م.

٣٨- العمدة في صناعة الشعر ونقده – لابن رشيق – ت/د/ النبوي عبدالواحد شعلان – مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـــ-٢٠٠٠م.

٣٩- فقه اللغة وسر العربية – لأبي منصور الثعالبي – ت/ مصطفى السقا- مطبعة مصطفى بابي الحلبي – الطبعة الثالثة – من دون .

٤٠- فهرس مؤلفات السيوطي – لعلي بن أحمد الحمصي – دراسة يحيي محمود ساعاتي- مجلة عالم الكتب – مطبوعة- العدد " ٢" شوال ١٤١١هـ.

٤١- فيض القدير شرح الجامع الصغير- للعلامة المناوي- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – ١٣٩١هـ -١٩٧٢م.

٤٢- كتاب الارتقاء بالكتابة – تأليف : محمد بن إبراهيم الحمد – من دون .

٤٣- كتاب الكليات – لأبي البقاء الكفومي – ت/ عدنان درويش – و محمد المصري- مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤٤- كتاب موجز البلاغة – للطاهر بن عاشور- المطبعة التونسية- الطبعة الأولى- من دون .

٤٥- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة- محمد بن محمد الغزي نجم الدين- ت/ خليل منصور- دار الكتب – المنصورة – الطبعة الأولى- ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.

٤٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- لابن الأثير – قدمه وعلق عليه / د/ أحمد الحوفي – و د/ بدوي طبانة – دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٤٧- مجمع الأمثال- للميداني – المطبعة الخيرية – مصر – ١٣١٠ه-١٨٩٣م .

٤٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – للعلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطي- شرحه وضبطه وصححه وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوي- مكتبة دار التراث – الطبعة الثالثة- من دون.

٤٩- المستدرك على الصحيحين – للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم – ت/ مقبل الوادعي – دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع – من دون .

٥٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل – تأليف : أحمد بن حنبل – ت/ محمد عبدالقادر عطا – دار الحديث – القاهرة – من دون .

٥١- مشاهير أعلام المسلمين – جمع وإعداد / علي بن نايف الشحود- من دون .

٥٢- المطول – لسعد الدين التفتازاني – تعليق / أحمد عزو عناية- دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان- الطبعة الأولى- ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

٥٣- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص – للعباسي – ت/ محمد محيي الدين عبدالحميد – عالم الكتب – بيروت- من دون .

٥٤- مفتاح العلوم – للسكاكي – ت/ د/ عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٥٥- مكتبة الجلال السيوطي- أحمد الشرقاوي إقبال- طبع في الرباط – عام ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م .

٥٦- نظرات في البيان- للأستاذ الدكتور: محمد عبدالرحمن الكردي -- ١٣٩٧هـ-١٩٧٦م.

٥٧- النور السافر عن أخبار القرن العاشر- للعيدروس عبدالقادر شيخ- - مكتبة المدينة.